

المذهب الظاهري ونشأته وتطوره بالمغرب والأندلس حتى نهاية الموحدين

د. عبد الباقي السيد عبدالهادي (*)

نشأة المذهب الظاهري وتطوره

نشأ المذهب الظاهري في بغداد على يد داود بن علي الأصفهاني أول من نادى به ودعا إليه من أهل السنة . ويرجع ظهور المذهب إلى عدة أسباب منها :
أولا : الإسراف في استخدام القياس والالتزام به والذي أدى الي اتساع الشقاق من الفروع والسنن إلي الأصول ، فقد اختلف أصحاب الرأي في التوحيد وصفات الله تعالى وقدرته وفي نعيم أهل الجنة ، وعذاب أهل النار وعذاب القبر وفي اللوح المحفوظ... وغير ذلك من الأمور التي لا يعلمها إلا الله (١)
ثانيا : تأثر داود بالإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) في الأخذ بالنصوص وتعزيزها ، مع كثرة رواية السنة في عصره ؛ مما جعله يتجه للنصوص وحدها ، وذلك لأن الشافعي كان يفسر الشريعة بالنصوص مع الحمل عليها بالقياس الجلي فقط (٢) .

ثالثا : ازدهار الحركة الباطنية التي تدعو إلى ضرورة وجود إمام مستتر يعلم الناس ما ليس في وسعهم أن يتعلموه من ظاهر الآيات والأحاديث (٣) .
وفي عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) عرفت الأندلس المذهب الظاهري على يد عبدالله بن قاسم بن هلال الذي رحل إلى المشرق والتقى بدادود بن علي ، وأدخل كتبه كلها الأندلس (٤) ، وفي عهد عبدالرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) صار لهذا المذهب أتباعه بفضل جهود منذر بن سعيد البلوطي قاضي القضاة الذي كان يؤثره ويجمع كتبه ويحتج له ويأخذ نفسه ونويه به (٥) ، ويبدو أن جهد منذر كان مقدمة لازدهار المذهب (٦) ، وقد ظل أمر الظاهرية فرديا حتى نجح ابن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) في إحياء المذهب من رقدته، وذلك بالتصنيف والمناظرة والجدل وتنشئة تلاميذه ومريديه على أصول المذهب ، ونشر المذهب بين أصحابه ، فتابعه على ذلك جماعة اعتنقوا المذهب

(*) مدرس تاريخ إسلامي .

ودافعوا عنه (٧)، وبذلك تحول أمر الظاهرية من المرحلة الفردية إلى المرحلة الجماعية ، والتي كانت مقدمة لما تم في عهد الموحدين من اتخاذ دولتهم للمذهب الظاهري مذهباً رسمياً لها ، وإن كان أمر المذهب متفاوتاً ما بين إقدام وإحجام في عهد حكامها .

أما عن دخول المذهب الظاهري للمغرب فلم تمدنا المصادر التي بين أيدينا بمعلومات عن تاريخ دخوله ولا على يد من من الفقهاء ولا في عهد من من السلاطين والحكام ، ولكن يمكننا أن نتوقع أن عبد الله بن قاسم الذي نشر المذهب في الأندلس كان له دور أيضاً في نشره بالمغرب أو على الأقل ترك أثراً بين المغاربة المالكيين للحدوث عن المذهب الظاهري وأصوله ، وذلك أثناء رحلته من المشرق إلى الأندلس والتي حتماً كانت تمر على المغرب.

ويعنى القول بالظاهر - الذي استخدمه داود والظاهرية بعده - عدم صرف معنى النص في القرآن والسنة من معناه الواضح بذاته الذي يستنبطه العقل بحكم منطوق اللغة ، إلى غيره من التأويل ما دام ليس هناك نص آخر أو إجماع يصرفه عن معناه الظاهري (٨) .

ويمكن أن تفسر تواجد الظاهرية بالمغرب والأندلس في عدة أسباب منها:

أولاً : الثورة على المدرسة المالكية التي جمدت النصوص ، وارتضت التقليد ، وعارضت كل محاولة للاجتهاد والتجديد ، حتى لقي أتباعها انتقاداً حاداً من أكابر المالكية المجتهدين وهو ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، لتقصيرهم عن علم الأصول ، وعدم قدرتهم على الترجيح بين الآراء المتعددة في المذهب ، واتهامهم من خالف قول فقهاءهم الأول بمخالفة القرآن والسنة ، وإجازتهم العمل بالروايات المتضادة في الحلال والحرام (٩) .

ثانياً : التغاف الناس حول كل حركة جديدة من شأنها التغيير . خاصة إذا قوبل أتباعها بالمعارضة والاضطهاد .

ثالثاً : الجهود التي بذلها محدثو الأندلس . خاصة بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح وقاسم بن أصبغ (١٠) في التمكين لمدرسة الحديث بإدخال الكثير من كتبها إلى الأندلس بعد عودتهم من المشرق ، وبكثرة الأحاديث والأسانيد وجنت المادة التي يعتمد عليها الفقه الظاهري .

رابعا : ازدهار القول بالباطن في كل من المغرب والأندلس ، ومن ثم فلا بد من وجود طائفة تتصدى لأرائهم التي تحمل اللفظ أكثر مما يحتمل ، وبالتالي يخرج عن مساره الصحيح ويقع التحريف ، فكانت المدرسة الظاهرية .
العلاقة بين المالكية والظاهرية قبل الموحدين :

لقد لقي المذهب المالكي الحظوة في المغرب والأندلس للأسباب التي أسلفناها آنفا ، ومن ثم كان الخروج عليه خروجاً على الإسلام من وجهة نظر المالكية، ولذا فقد تعرض كل من يخالف مذهبهم للاضطهاد والتكليل أيا كان مذهبه ، وفي حالة ما إذا وصل أحد الظاهرية إلى منصب هام في الدولة كالقضاء - وذلك لإعجاب أحد الحكام به- كانوا يفرضون على القاضي أن يقضى بين الناس بمذهبهم المالكي ، وذلك مثل ما وقع لمنذر بن سعيد البلوطي الظاهري^(١١) ، وما دون ذلك كان يتعرض للاضطهاد مثل شيخ ابن حزم أبي الخيار مسعود بن سليمان بن مقلت الظاهري الذي منع من التدريس بجامع قرطبة . كما تعرض ابن حزم هو الآخر للاضطهاد فقد فرض المالكية الحظر على الفكر الحزمي ومنعوا صاحبه من التدريس بجامع قرطبة ونددوا به في المجالس والندوات وحذروا العامة من الاستماع إلى آرائه وأقواله ، وكتبوا الكتب الكاذبة إلى الحكام لتحريضهم عليه ، وراسلوا كبار فقهاءهم بالأندلس وخارجها للرد عليه^(١٢) .

ولم يقف أمرهم عند هذا الحد ، بل راسلوا ابن حزم نفسه وجمعوا من ألفاظهم أقيح الألفاظ وأسوأ العبارات واصفين إياه بالابتداع في الدين والغفلة و البلادة و التهكم علي الصحابة و قلة الفهم والجهل والفتون وخبث السريرة وقلة الدين وضعف العقل وقلة التمييز والتحصيل فضلا عن رميته بتبديع الصحابة. لقد ظنوا أن ذلك سوف يثنيه عن عزمه واستمراره فيما هو من الدعوة لمذهبه الظاهري ولكن هيهات، هيهات أن يركن رجل مثله جعل من نفسه مصلحا اجتماعيا . فقد فند كل ما اعترضوا به عليه في أوضح و أجلى رد منبها على جهلهم بالأصول وتقليدهم للفروع ، وبعدهم عن المعرفة الصحيحة للدين مستخدما ألفاظا هي أشد وأنكى من ألفاظهم^(١٣) ألم يقل عنه ابن العريف الصوفي: " لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان"^(١٤) هذه الشدة اللسانية كان مرجعها الأكذوبات والافتراءات التي انهالت عليه من قبل خصومه من المالكية ، فضلا عن تكوينه النفسي والجسدي. لقد تزعم لواء المعارضة جماعة من الفقهاء في حياة ابن حزم منهم أبو الوليد الباجي ، ومحمد سعيد الميورقي الذي دعى الباجي لمناظرة ابن حزم بعد ما ساد بالجزيرة وابن الباربية الذي ناظره ابن حزم في حضرة

أحمد بن رشيق حاكم ميورقة ووصفه بقوله: "وقد استتبنا اللعين المرتد المتوجه إليكم بهذه الأكذوبات والمفتراء والفضائح المفتعلة"^(١٥) ومكي بن أبي طالب الذي ناظره ابن حزم وأبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الذي ناظر ابن حزم وهجاه^(١٦).

لم يرضخ ابن حزم إزاء ما تعرض له بل عمد إلى مذهبه فنقحه وجادل عنه ووضع الكتب في بسطه ودعا الأندلسيين لأصوله وعارض ما اعتمدت عليه المالكية من أصول تختلف مع مذهبه الظاهري من خلال المناظرة^(١٧) وتصنيف الكتب في ذلك مثل: معارضته للقياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل^(١٨) وانتقاده لمخالفاتهم الصحابة الذين لا يعرف لهم مخالفا في أربعة عشر مسألة من الطهارة وخمس وثلاثين مسألة من الصلاة ومساائل عدة خالفوا فيها الإجماع المتيقن وجمع ذلك في كتاب سماه (ما خالف فيه المالكية للطائفة من الصحابة)^(١٩) وانتقد قولهم بأن الموطأ أجل المصنفات ، وجعله في المرتبة السابعة والعشرين بعد معظم مصنفات الحديث المشهورة ؛ كصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والنسائي ومسنده أحمد بن حنبل... إلخ.^(٢٠) كما انتقد الواضحة في الفقه المالكي لعبد الملك بن حبيب والمستخرجة من الأسمعة وهي المعروفة بالعتبية لتلميذه محمد بن أحمد بن عبد العزيز المعروف بالعتبي لما فيهما من غرائب الأحاديث والأقوال وقوله أن كلا من عبد الملك بن حبيب والعتبي ليسا من ثقات أهل الحديث. في حين أن المالكية لا تنكر فضلهما واستحسانهما وتعتبرهما من أكابر فقهاءهم^(٢١) .

وبعد وفاة ابن حزم تزعم لواء المعارضة ضده وضد الظاهرية (عيسى بن سهل الأسدي الجبائي) صاحب الأحكام الكبرى والذي جمع كتابا سماه "التنبيه على شذوذ ابن حزم" وصفه فيه بالجهل والضلال والفسق والكفر والإلحاد ومفارقة جماعة المسلمين ووصف جميع مصنفاته بأنها لغو يجب الإعراض عنه^(٢٢) ، وهذا الكلام باطل من وجوه :

الأول : أنه وليد التعصب لمذهبه المالكي وكله خليط من الباطل لا يشوبه شائبة من الحق فكتب ابن حزم جزء كبير منها بين أيدينا وليس فيه شيء مما ذكر .

الثاني : أن معظم الفقهاء والأدباء والمحدثين والمؤرخين من المخالفين لابن حزم في المذهب و الموافقين أجمعوا على إمامته و ضبطه وإحاطته بعلم النقل و العقل و لم يرمه أحد بكفر أو شرك أو بدعة ولا قالوا عنه أنه قال عن العلماء ما لم يقولوا بل أجمعوا على صدقه وعدالته ودقته في النقل عن العلماء^(٢٣) بل إن أحد علماء الشافعية الكبار وصفه بقوله الإمام الأوحى^(٢٤) .

الثالث : أن جمهور المخالفين له في المذهب تلقوا كتبه بالقبول وامتدحوا ما فيها من العلم وحسبنا في ذلك قول اثنين من أكابر علماء المذهب الشافعي في بعض مصنفات ابن حزم أولهما أبو حامد الغزالي الطوسي الذي قال: " وجدت في أسماء الله تعالى كتابا ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسي يدل على عظم حفظه و سبلان ذهنه " والثاني هو الإمام المجتهد المطلق العز بن عبد السلام الذي قال: " ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلي لابن حزم وكتاب المغنى للشيخ الموفق و تابعه الذهبي على قوله (٢٥) .

الرابع : أن قول ابن سهل السابق سرعان ما يرفضه القارئ الحصيف إذا ما علم أن من الشنع التي شنع بها على (ابن حزم) ما ذكره بكتابه (الفصل) من إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل ، وهى المسألة التي حسمها القرآن حسما لا يحتاج لجدل أو نقاش إذ إنها من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة .

وفى عهد المرابطين تولى القاضى المالكى أبو بكر بن العربي مهمة الحط مسن شأن ابن حزم والظاهرية تنفيرا للناس عن الإقبال على كتبه ومذهبه . كما شارك ابن العريف الصوفى المالكى (ت٥٣٦هـ/١١٤١م) القاضى ابن العربي المالكى فى نقده للظاهرية فقد وصف الظاهرية بالمذهب المنموم الذى سقط فيه داود وأتباعه ، ولا قوة لهم فيه إلا الخوارج فى وقت الصحابة ، وأهل النفاق فى وقت الرسالة ، وصنف مذهبهم ضمن المذاهب المنكرة والمنمومة فى الدين، بيد أن الغريب فى ابن العريف أنه قال عن الظاهرية بأنها مذهب يشبه مذهب رواة الحديث والفقهاء (٢٦) وهو الأمر الذى يذهب بنقده كله ويحمله طابع التعصب ضد منهج الفقهاء والمحدثين بأسرهم ، وليس مذهباً بعينه ، ولعل مرجع ذلك منهجه الصوفى الذى تبناه والذى لقى معارضة من قبل العديد من الفقهاء والمحدثين ، ولعل تشبيه ابن العريف للظاهرية بتحديدًا بالخوارج وأهل النفاق راجع إلى موقف الظاهرية وابن حزم تحديداً من الصوفية والكرامات فقد أفتى بضرورة تجنب استخدام الرمز فى النصوص الشرعية ، وهو من الأمور الأساسية عند الصوفية ، كما عارض حدوث الكرامات وهى إحدى دعائم التصوف (٢٧) كما أن ابن حزم انتقد مدرسة ابن مسرة الصوفية والتي يعتبر ابن العريف امتداداً لها (٢٨) .

لقد بلغ التقليد لمذهب مالك مبلغاً فى عهد المرابطين حتى أفضى ذلك بهم إلى التعصب وتحريم أى مذهب غير المذهب المالكى ، وتحول الأمر من مرحلة التنظير بين العلماء إلى مرحلة التطبيق فوجد علياً بن يوسف بن تاشفين لم يقرب منه سوى

من كان عنده علم بفروع مذهب مالك ، فازدهرت في عهده كتب المذهب ونبذ ما سواها ، ونسى النظر في كتاب الله وحديث رسول الله (ﷺ) ، ولقد تعرض أهل الظاهر في عهده للاضطهاد والتكيل لرفضهم الاعتماد على مذهب مالك ، ودعوتهم للاجتهاد واستنباط الأحكام من القرآن والسنة ، ومن هؤلاء الفقيه محمد بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي الميورقي الأصل ، الذي ضرب بالسوط بأمر على بن يوسف ، وسجن وقتل ثم سرحه بعد فترة (٣٠١) ، وفي عهد تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين نراه يتابع سياسة أبيه فيرسل رسالة إلى والي بلنسية وقاضيا وسائر الفقهاء والوزراء والصلحاء ببلنسية يدعوهم إلى الاقتصار في الأحكام والفتوى والشورى على مذهب مالك بن أنس ، ومن يعمل بغير ذلك فقد اتبع الهوى (٣١) .

لقد كان لهذه السياسة الرسمية من قبل الدولة أثر على فقهاء المالكية الذين اتفقوا فيما بينهم في عهد المرابطين على أن اعتقاد الظاهرية وإنكار القياس جرحه وبدعة ، والواقع أن الفتوى السابقة لم يتبناها سوى فقهاء المرابطين ومقلدي المالكية ، وليس أدل على ذلك من أن أحد قضاة المالكية في عهد المرابطين قبل شهادة شاهد ظاهري ، ولم يعتبره مبتدعا ، هنا هاج المالكية ورجعوا الأمر إلى ابن رشد الجسد أحد مجتهدي ومحققى المذهب المالكي لعله يؤيد فقهاء السلطة والمقلدين فيما ذهبوا إليه ، لكن رأيه جاء مخيبا لأمالهم إذ قال: "إن كان الشاهد من أهل الاجتهاد الراسخين ويعارض العلماء في بعض وجوه القياس فليست جرحه ، وإن كان مقلدا متبعا للهوى فهي جرحه بأنه ينفي للقياس" (٣٢) .

لقد ارتأى فقهاء السلطة والمتعصبون من المالكية أن يشككوا جبهة موحدة من خلال فتوى تدين الظاهرية ، وذلك في محاولة للحد منها ومطاردة أتباعها ، ومنع المالكية من التحول إليها ، خاصة وأن الظاهرية في عهد المرابطين لم يكونوا قلة ، بل كانوا يشكلون الجناح الثاني لحركة المريدين بزعامة محمد بن الحسين الميورقي ، ومحمد بن خلف المعروف بأبي عبدالله الشبوقي ، ولقد اعترف القاضي ابن العربي المالكي نفسه بكثرة عدد الظاهرية في عهد المرابطين (٣٣) .

الجدير بالذكر أن ميورقة كانت مركزا للمذهب الظاهري في الأندلس وذلك بفضل جهود ابن حزم وأتباعه في الجزيرة في ظل حاكمها أحمد بن رشيق (٣٤) ، وظل أمر المذهب راسخا حتى بداية عهد المرابطين ، وكان للصراعات المذهبية بين المالكية والظاهرية الأثر الكبير في إثراء الحياة الفكرية في جزر البليار ، وظهور علماء من المتكلمين برعوا في علم الكلام والتوحيد ، ومن فقهاء الظاهرية الذين

اشتهروا بجدلهم مع فقهاء المالكية في عهد المرابطين محمد بن سعدون بن مرجى الميورقي (ت ٥٣٤هـ/١١٣٩م) ^(٣٥) ، ومن أبرز الصراعات المالكية الظاهرية قبل عهد الموحيين ما وقع بين فقهاء المالكية وبين ابن تومرت صاحب النزعة الظاهرية فقيها وجدليا.

بدأت علاقة ابن تومرت بالمرابطين وفقهائهم المالكية منذ عام ٥١٤هـ/١١٢٠م حينما ارتحل إلى مراكش عاصمة المرابطين ، وفيها قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأراق الخمر وكسر آلات الطرب دون إذن أمير المسلمين علي بن يوسف ، هنا تطاير خبره بأمير المسلمين فأمر بإحضاره ، وفي هذا اللقاء دعا ابن تومرت علياً بن يوسف للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ^(٣٦) وقد أطرق علي بن يوسف ملياً يفكر فيما سمع وأمر بإحضار الفقهاء لمناظرة ابن تومرت واختباره ، وكان ابن تومرت عالماً بالجدل والفقه والحديث ، في حين كان فقهاء المالكية الذين حضروا لا علم لهم سوى بالفروع ، ومن ثم عجزوا عن إجابته وفهم خطابه ، وأخذتهم العزة بالإثم فدلسوا على أمير المسلمين وقالوا له: " هذا رجل خارجي مسعور أحق صاحب جدل ولسان يضل جهال الناس ، وإن بقي بالمدينة يفسد عقائد أهلها" فأمره أمير المسلمين بالخروج من مراكش ، عندئذ خرج ابن تومرت في مكان قرب مراكش ، وكان يأتيه بعض الطلبة يأخذون عليه ، وتكاثر أتباعه إلى ما يزيد على ألف وخمسمائة ، وكلهم موافقون له فيما قاله من طعن على المرابطين ، وكان بعض الفقهاء قد أغروا على بن يوسف بأبن تومرت وقالوا له إنه يدعو الناس إلى إمامته ، وهنا عزم على بن يوسف على قتله ، وبعث من يأتيه برأسه ، لكن أحد تلامذته كان قد سمع ذلك فنيبهه ، فخرج ابن تومرت مسرعاً حتى بلغ تينملل وكان ذلك في شوال ٥١٤هـ/١١٢٠م ^(٣٧) .

عندئذ أعلن ابن تومرت ثورته على المرابطين ودارت بينه وبينهم معارك مسلحة ، وحراباً دعائية ، وكان ابن تومرت قد وجه في البداية رسالة للمرابطين هي أول رسالة منه إليهم وصفهم فيها بالفئة الباغية والشرنمة الطاغية ودعاهم إلى تقوى الله واتباع السنة ، واختتمها بقوله: " وكتابتنا هذا إليكم إعدار وإنذار ، وقد أعذر من أنذر والسلام عليكم سلام السنة لا سلام الرضى" ^(٣٨) وقد اهتم ابن تومرت بالسنة في رسالته هذه باعتباره محبباً لها ، وإظهاراً لمنهجه الظاهري القائم على الدعوة للكتاب والسنة ، وتسفيها لما عليه المرابطون ؛ من اهتمام بالفروع في الأحكام وترك الكتاب والسنة ، وتشير خاتمة الرسالة إلى تطور فكر ابن تومرت من مرحلة الأمر

بالمعروف إلى مرحلة القتال وهو ما سنلاحظه في رسالته التالية؛ فقد وجه ابن تومرت رسالة إلى أتباعه - ووسمهم بجماعة أهل التوحيد- دعاهم فيها إلى جهاد المرابطين إظهاراً للدين وإحياءاً للسنة ، ووصف المرابطين بالمجسمين المفسدين وبالكفر والطغيان وأكل أموال اليتامى وتقريب الفجار وشاربى الخمر والعصاة ، وجعل جهادهم فرضاً على كل من يؤمن بالله واليوم الآخر ، وأفتى بأن من قتل من المجسمين فهو فى النار ومن قتل من الموحدين المجاهدين فهو شهيد^(٣٩) .

وقد جاءت هذه الرسالة بهذا العنف وهذه الشدة على أثر اتهامات كالهيا فقهاء المالكية بزعماء مالك بن وهيب لابن تومرت فى إطار الحرب الدعائية بين الطرفين منها: (هذا رجل يكفر الناس بالذنوب ، ويمنع من الصلاة على أهل القبلة - قتلى المرابطين الذين حاربهم الموحدون- ومن تاب لا يلزمه قضاء الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات ، ويرد المطلقة ثلاثاً إلى زوجها ، وطرح مذاهب العلماء وكتبهم وخرج من الإجماع وكفر المسلمين واستحل الحرام المجمع على تحريمه واستحل دماء المسلمين وأموالهم وحريمهم وجعل أموال المسلمين غنيمة تخمس ، كما تخمس أموال النصارى ، وقام على الأمراء ونزع يده من طاعتهم ، وقد أجمع المسلمون على تحريم القيام عليهم ووجوب طاعتهم^(٤٠)) ، وقد رد ابن تومرت على ذلك وبين فساد أقوالهم^(٤١) .

وقد لقيت دعوة ابن تومرت صدى بالمغرب فى مدينة فاس ما إن سمع علماءها بدعوته القائمة على العودة إلى الكتاب والسنة ونبذ التقليد حتى قصده ، وناقح عدد منهم مثل السلاجى (ت ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م) وابن الإشبلى (ت ٥٦٧هـ/ ١١٧١م) لنشر فكر ابن تومرت والرد على المرابطين ، واتهموهم بالضعف أمام العباسيين ، الذين استسلموا لهم بالدعاء على المنابر وإرسال الشعراء إليهم. لكن هذا التأييد لقى معارضة من قبل الفقهاء المؤيدين للمرابطين مثل ابن أبى معيشه ، وابن الملجوم ، وابن داود ، وابن المقبلى^(٤٢) . لقد كان المحرك الأساسى لثورة ابن تومرت ضد المرابطين هو الفقه الظاهرى الثورى الذى درسه على يد الطرطوشى (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) أحد المهتمين بالفقه الظاهرى وكتب ابن حزم ، حتى إنه كان يجتمع مع أبناء ابن حزم وجماعة من الظاهرية لتصنيفها ومعرفة محتوياتها^(٤٣) ، وقد استفاد ابن تومرت من الطرطوشى فى الثورة على التقليد والعودة إلى الكتاب والسنة والظعن على البدع والظلم^(٤٤) والخروج على الحاكم إذا وقع شىء من الجور وإن قل^(٤٥) وهى المسائل التى أصلها ابن حزم ودعا إليها فى كتبه.

وتجدر الإشارة إلى أن معارضة المالكية للظاهرية ترجع إلى عدة أسباب منها:
 رفض الظاهرية للرأى والقياس والاستحسان والتقليد والتعليل مما حدا بفقهاء المالكية
 إلى مجابتههم لصرفهم عن منهجهم ، ومخافة من تحول البعض من المغاربة
 والأندلسيين إلى مذهبهم^(٤٦) ، ومنها استطالة الظاهرية على فقهاء المالكية بفضل
 القول ، ولحنهم بالحجة حيث لا يجدون لهم ردا ، فضلا عن انتقاد أحدهم وهو ابن
 حزم لبعض آراء الأئمة الأربعة التي رأى مجانبتها للصواب^(٤٧) ، والواقع أن نقده لم
 يكن لذات الأئمة كما فعل ابن س هل وابن العربي ، بل كانت ردودا على بعض
 آرائهم فحسب ، أما الأئمة فكان شديد التبجيل لهم ، ووصفهم بأنهم مسلمون فاضلون
 يلزم توقييرهم والاستغفار لهم^(٤٨) .

ومن هذه الأسباب مطالبة الظاهرية كل مسلم بقراءة القرآن والحديث بنفسه ،
 واستخراج الأحكام ، ورفض اتباع أقوال الأئمة دون السؤال عن البرهان والدليل
 المعتمد فى الفتوى ، أضف إلى ذلك تعويل بعض الظاهرية على دراسة الفلسفة
 والمنطق ، ودعوة أحدهم وهو ابن حزم لاستخدامهما فى الاستنباط الفقهي ، فى حين
 أن المالكية ينظرون إليهما على أنهما سببا للضلال والإلحاد^(٤٩) ، كما كانت حدة ابن
 حزم وإفراطه فى الرد على المالكية بعنف سببا من هذه الأسباب حتى قال عنه ابن
 حيان المؤرخ الشهير : " فلم يكن يلفظ بما عنده بتعريض ، ولا يذمه بتدريج ، بل
 يصك به معارضة صك الجنى ، وينشقه أحر من الخردل"^(٥٠) ، وقال عنه ابن
 العريف الصوفي: " لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقتان"^(٥١) ، وآخر هذه الأسباب
 اجتهادات ابن حزم الفقهية التى انفرد بها وخالف جمهور الفقهاء من أهل السنة ، بل
 خالف فيها إمام مذهبه داود بن على الأصفهاني ، ومن أشهر هذه المسائل رفضه
 لكراء الأرض جملة^(٥٢) ، فى حين أن فقهاء المالكية يجيزون ذلك ومعظم
 الأراضى الأندلسية تزرع بالكراء . فكيف يسمح له بترويج مثل هذه الأفكار التى
 تصادر منبعا مهما من منابع ثروتهم ومصدرا من مصادر سطوتهم الفقهية .

الوضع الاقتصادي والاجتماعي للظاهرية قبل عصر الموحدين:

يعتبر منذر بن سعيد البلوطى من أوائل الظاهرية فى الأندلس الذى دغى بمكانة
 اجتماعية مرموقة فقد ولى قضاء ماردة والنغور الشرقية^(٥٣) ، ووضد مكانته
 الاجتماعية من خلال حضوره حفل استقبال عبدالرحمن الناصر لسفراء مسنطين
 السابع بقصر الزهراء سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م ، وقد عرف منذر كيف يقيد من كل

مناسبة كى يزداد رفعة وسلطانا عند الخليفة ، فأصبح أكبر شيوخ عصره بحكم أنه أصبح قاضى الجماعة ، وسلم الناس له بذلك بحكم مركزه الوظيفى ^(٥٤) ، ولا شك أن مكانته الاجتماعية هذه حققت له رخاء اقتصاديا وجعلته فى مصاف الأثرياء ، وإن ظل دائما ينهى عن الإسراف ، حتى إنه لم يستطع أن يخفى اعتراضه على ما قام به الناصر من جعل سقف قبة قصره بالزهراء من الذهب ، فنقضه الناصر لتوه ^(٥٥) ، وهكذا لم يمنع المنذر منصبه الاجتماعى من توجيه النصح للخليفة بل والاعتراض على بعض أفعاله طالما خالفت تعاليم الإسلام وقيمه

أما ابن حزم فقد كان ذا مكانة اجتماعية مرموقة منذ صغره بحكم موقع أبيه كوزير للمنصور ابن أبى عامر ، وقد أفاد ابن حزم من ذلك حيث يقص علينا أنه دخل على الحاجب المظفر بن المنصور بن أبى عامر وهو فى الثانية عشرة من عمره أى سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م ^(٥٦) ، ثم يحدثنا بعد ذلك عن دخوله على عدد من خلفاء وأمراء بنى أمية وجلوسه معهم مرارا منهم هشام المؤيد ، ومحمد المهدي ، وعبدالرحمن المرتضى ^(٥٧) ، وقد ساعده وضعه الاجتماعى على الدخول لمكتبة قصر الخلافة والإفادة منها مما كان له أثره فى تكوينه العلمى والفكرى ، خاصة وأنها كانت تحتوى على العديد من الكتب الفريدة التى لم يكن لها وجود فى الأندلس إلا فيها ^(٥٨) .

وبلغت الوجاهة الاجتماعية بابن حزم إلى الحد الذى أصبح فيه مستشارا لعبدالرحمن المرتضى ، ثم وزيرا لعبدالرحمن المستظهر (١٠٢٣/٤١٤) ^(٥٩) كما وزر لهشام المعتد بالله ^(٦٠) ويحدثنا ابن حزم فى عام (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) - وهو العام الذى سقطت فيه الخلافة الأموية بالأندلس - بأنه كان متوليا منصب القضاء ^(٦١) ، وفى عهد ملوك الطوائف كان ابن حزم على صلة بأبى الأحوص معن بن محمد التجيبى (٤٣٣هـ - ٤٤٣م / ١٠٤١م - ١٠٥١م) صاحب المرية والذى طلب من ابن حزم أن يصنف له رسالة فى (الوعد والوعيد وبيان الحق فى ذلك من السنة والقرآن) فصنفها له ^(٦٢) ، وهو ما يشير إلى وضع ابن حزم الاجتماعى المرموق فى تلك الفترة من حياته إذ كان على اتصال بأحد حكام الأندلس فى تلك الفترة . كما أنه كان أحد المستشارين والوزراء الذين اعتمد عليهم أحمد بن رشيق صاحب جزيرة ميورقة فى الحكم ^(٦٣) ، وهكذا يتضح أن الوضع الطبقي لابن حزم كان وضعاً أرسقراطيا شأنه شأن الطبقة الحاكمة .

وبخصوص وضعه الاقتصادي فليس أدل على الرخاء والنعيم الذي كان يتقلب فيهما ما أورده في كتابه الطوق من أنه أيام والده الوزير كان يمتلك مع أسرته دوراً في الجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة ، ودوراً في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث ، وكان يتنقل بين هذه وتلك حسب تنقلات والده الوزير ، وكانت هذه الدور تحتوى على المحاريب المنمقة والمقاصير المزينة ، والجوارى والخدم ، والحوائق الغناء^(٦٤) الأمر الذي يوضح بجلاء عظم الوضع الاقتصادي الذي كان يحيا فيه ابن حزم . كما يتضح الرخاء الاقتصادي لابن حزم أيضا من خلال امتلاكه لقرية بأكملها بما عليها من أراض ودور، هي قرية منت ليشم والتي كانت ملكا لأسرته من قبله^(٦٥) ، وهي التي رحل إليها في آخر أيامه وبها توفي سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م .

وكان أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن حزم وزيرا للمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية (٤٦٢-٤٨٤هـ/١٠٦٩-١٠٩١م) ، وكان مقدما على وزرائه^(٦٦) كما كان على صلة قوية بأمراء الدولة العبادية حتى أن أحدهم طلب منه أن يصنف كتابا عن تاريخ الأسرة ونسبها فصنف كتابه الموسوم بـ (الهادى إلى معرفة النسب العبادى) ، ولاشك أن الفضل كان يتقلب في الرخاء الاقتصادي بحكم كونه وزيرا للمعتمد ، فضلا عن أملاك أبيه لا سيما قرية منت ليشم سالفة الذكر ، ومن الظاهرية السنين كانت لهم مكانة اجتماعية واقتصادية الراضى يزيد بن المعتمد على الله بن المعتمد ، ولاه أبوه الجزيرة الخضراء ، وكان معظما للمذهب الظاهرى وكتبه ، ولعله هو الذى طلب من الفضل أن يصنف له كتابا عن تاريخ الأسرة العبادية ونسبها ، خاصة بعد أن صار الراضى ظاهريا ، وأعاد لابن حزم اعتباره ، بعد أن كان جسده المعتضد (٤٣٤-٤٦٢هـ/١٠٤٢-١٠٦٩م) قد أمر بإحراق كتبه ، وربما يقوى هذا القرض إذا علمنا أن الراضى كان شغوقا بأنساب العرب^(٦٧) .

وإلى جانب للقضاة والوزراء والولاية كان من الظاهرية الواعظ في مسجد قرطبة مثل أبى الخيار مسعود بن سليمان بن مقلت^(٦٨) ومنهم المقرئ والإمام في أحد المساجد مثل محمد بن شريح الرعيني (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م) تلميذ ابن حزم الذى صلى خلفه المعتضد صاحب إشبيلية في إحدى ليالى رمضان^(٦٩) وفرج بن جديدة (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م) الذى أفتده للمعتضد بن عباد للإقراء بإشبيلية بالمسجد المنسوب إلى والدته ، والمحدث والفقهاء الذى كان يعلم الناس الفقه والحديث مثل عبدالله بن أحمد بن سعيد بن يربوع (ت ٥٢٢هـ/١١٢٨م)^(٧٠) ومنهم من عمل بالتجارة مثل محمد بن عبدالله بن طالب البصرى ، ومنهم من كان عاقدا للشروط والوثائق مثل

هشام بن غالب بن هشام الغافقي (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م)^(٧١) . تلك لمحة عن الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للظاهرية قبل الموحديين حاولنا قدر الاستطاعة أن نبرز من خلالها الفئات الممثلة للظاهرية ، وإن جاءت بصورة فردية ومقتضبة ، وذلك ندرة المادة العلمية المتاحة بين أيدينا .

الدولة الموحدية ومذهبها الظاهري

تبدأ هذه الدولة على يد مؤسسها محمد بن تومرت الهرغي^(٧٢) وقد ثار حوله جدل كبير من ناحية النسب هل هو بربري أم عربي قرشي أم غيره . كما اختلف المؤرخون بشأنه هل هو صاحب سنة أم صاحب بدعة^(٧٣) ، وأظن أن أفضل من حقق هذا الأمر هو العلامة ابن خلدون عندما وصفه بأنه عاد من المشرق بحرا متفجر من العلم ، وشهابا واريا من الدين ، وأنه لم تعرف له بدعة إلا بدعة العصمة^(٧٤) أما ما روى عنه من روايات تشينه فاهل التحقيق ذكروا عدم صحتها عنه ، وكيف لا وقد قبل أهل العلم كتبه وعملوا بما فيها ، وما كان فيها من خطأ نبهوا عليه ، وبخسب أشعرية الرجل فلم تكن أشعرية خالصة بل أخذ من الأشعرية ما يتوافق مع ظاهره التي تبناها^(٧٥) .

تولى أمر هذه الدولة بعد ابن تومرت عبدالمؤمن بن علي ، ثم بعده يوسف ابنه وكلاهما كان ظاهريا رفض كتب الفروع ودعا للناس إلى الظاهر من القرآن والسنة . ثم جاء البطل المغوار يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن المكنى بأبي يوسف والملقب بالمنصور فأحيا المذهب الظاهري وفرضه فرضا ، وجعل التعامل به في القضاء والفتيا ، ثم سار على نهجه ابنه محمد الناصر ، ثم تتابع الخلفاء الواحد تلو الآخر سيرا على هذا النهج .

و نكالية الحديث عن ظاهرية هذه الدولة إشكالية جد خطيرة لأمر منها :
أن جل من كتب عن الدولة الموحدية من التدامي والمحدثين هم من المالكية ، ومن ثم رأيتهم جميعا يلون عنق النصوص ويذهبون بها كل مذهب لينفوا حقيقة ظاهرية الدولة وهو ما لم يفلحوا فيه رغم مصنفاتهم وتأصيلاتهم العديدة .
أن دولة بني مرين وفقهاء المالكية في عهدها ومن بعدها عدوا على مصنفات أهل الظاهر في عهد الموحديين فأبادوها ، وراحوا يسلبون الدولة من مذهبها الرسمي وهو الظاهري بكلمات سرعان ما يتضح بطلانها من خلال نصوص كثيرة سنطرحها على حدسنا في هذه المقالة .

أن جل من كتب عن الدولة الموحدية في العصر الحديث لم يكونوا من أرباب التواريخ ، ولم يطلعوا على كل ما بسطه أهل التاريخ عن هذه الدولة ، ومن ثم رأينا كل من كتب عن هذه الدولة يخلط الخلط العجيب في مذهبها ، وصدق الحافظ ابن حجر عندما قال "من تحدث في غير فنه أتى بالعجائب". فأحد من كتب عن الدولة يقول وتأثرت هذه الدولة بفقهاء ابن حزم في أمور كثيرة ، ثم في موضع آخر يقول ولم يكن لهذه الدولة تأثير بالمذهب الظاهري إلا في القليل النادر ، ولا يعني هذا انها دولة ظاهرية !!؟ ومن أمثال هذا الكلام الكثير والكثير .

نأتى إلى الحقيقة التي لم يعدم الباحثون المنصفون من إثباتها وتأصيلها بالنصوص والادلة والبراهين ، ألا وهي ظاهرية الدولة الموحدية .
وقبل الشروع في طرح الأدلة لتأكيد هذه الحقيقة دعوني أخبركم بإسادة إن الله أعانني فأحصيت أكثر من عشرين دليلا وبرهانا على ظاهرية الدولة ، وهو الأمر الذي دعا أحد الباحثين النابهين والمتخصصين في تاريخ المغرب، والاندلس وهو أستاذنا الدكتور محمود اسماعيل عبدالرازق إلى أن قال لي يوما في لقاء علمي بالجامعة " إن ما قمت به من كشف بشأن ظاهرية الموحديين سيهيل التراب على أكثر من خمسمائة سنة درج الباحثون فيها على القول بأن هذه الدولة دولة مالكية ... ولكن اكتب وحسبى انى أتق فيك وفى تأصيلك " .

وقال باحث آخر لا يقل نباهة ولا فهما ولا علما عن الأول وهو أستاذنا الدكتور أحمد رمضان أحمد (٣٦) - رحمه الله - شيخ مؤرخى جامعة عين شمس " أنا متفق تماما مع ما ذهب إليه من أن الدولة الموحدية دولة ظاهرية ، لكن حاول أن لا تتحى المذهب المالكي فى عصرها ... " .

أعود بكم إلى ما ذهبنا إليه من أدلة وبراهين تؤكد ظاهرية الموحديين ، وأكتفى ببضعة براهين أسوقها على حضراتكم فى الآتى :

أولا : انتشار كتب ابن حزم الفقهية والأدبية والتاريخية وغيرها (٣٧) ، وكتب الظاهرية عامة فى عصرهم بما لم يكن معروفا من قبل. كما أن حكام الدولة الموحدية كانوا على علم بالفقه والأصول والحديث والدعوة للاعتماد على القرآن والسنة فى الفتيا والأحكام ، وهى الأمور التى دعا إليها المذهب الظاهري ، وغير موجودة فى غيره ، فعلى سبيل المثال كان عبدالمؤمن بن على فقيها أصوليا محدثا جدليا (٣٨) وكان يوسف بن عبدالمؤمن على علم بآئنته والأصول وعلوم القرآن ، والحديث ، وكان

يحفظ أحد الصحيحين ^(٧٩) ، وكان المنصور فقيها محدثا أصوليا مجتهدا جديدا ، يعلم الفقهاء والقضاة والكتاب استنباط الأحكام من القرآن والسنة ^(٨٠) .

ثانيا : اعتماد الدولة في أحكامها على الفقه الظاهري فقد قتل المنصور الموحدي أبا له لخروجه عليه ومطالبته بالخلافة ^(٨١) اعتمادا على فتوى لابن حزم بقتل الخليفة الآخر إذا بويع لخليفين ^(٨٢) واعتمدت الدولة مسألة التعزير في الذنوب التي لا حد فيها خاصة بـ الصلاة ، والقتل لمن شرب الخمر ^(٨٣) وجعل التعليم إجباريا على الذكور . بنات منذ عهد عبدالمؤمن بن علي ، وتم تكليف العبيد بالأحكام الشرعية شأنه شأن الأحرار ^(٨٤) والرجوع للحاكم في أحكام القتل كقتل النفس والمرتد والمتهزىء بدين الله ^(٨٥) ومضى المسائل التي انفرد المذهب الظاهري بها دون غيره من لمذاهب ، وأصلها الظاهرية في كتبهم .

ثالثا : دعوة حكام الموحدين لعقد مجادلات ومحاورات لترجيح المذهب الظاهري على المالكي ، ومن ذلك المجلس الذي ذكره ابن حجر الهيتمي لأحد الأمراء دور ، نكر اسمه ^(٨٦) ، وما وقع في عهد عبدالمؤمن بن علي من جمع علماء الظاهرية والمالكية للمناظرة حول عدة مسائل في مدونة سحنون ، ومنها مسألة إعادة الصلاة في الوقت والتي يرفضها الظاهرية ، وانتهى المجلس بإقرار رأي الظاهرية بعد كلام دار بين ابن زرقون المالكي وأحد الظاهرية ، وقد عبر ابن زرقون عن ظاهريته عن المؤمن بقوله : " كل ذلك مراده أن يحمل الناس على مذهب ابن حزم " ^(٨٧) .

ولنصغ إلى ابن زرقون الذي شهد واقعة جمع عبدالمؤمن بن علي للفقهاء وذلك لذل الناس على المذهب الظاهري فيحدثنا بقوله " كنت فيمن جمعهم - أي ع. المؤمن - فقام على رأسه كاتبه ووزيره أبو جعفر ابن عطية فخطب خطبة مد تصرة ، ثم رد رأسه إلى الفقهاء ، وقال لهم : بلغ سيدنا أن قوما من أولى العلم ، تركوا كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وصاروا يحكمون بين الناس ، ويتون بهذه الفروع والمسائل التي لا أصل لها في الشرع ، وقد أمر أن من فعل ذلك يد . هذا اليوم ، ونظر في شيء من الفروع والمسائل ، عوقب العقاب الشديد ، وفعل بما كذا وكذا وسكت ، ورفع الأمير عبدالمؤمن رأسه إليه وأشار عليه بالحلوس فجلس ، وال : سمعتم ما قال ؟ قال له الطلبة نعم . قال : وسمعنا أن عند القوم تأليفا من هذه الزوع يسمونه الكتاب - يعني المدونة - وأنهم إذا قال لهم قائل مسألة من السنة ولم تن فيه ، أو مخالفة له قالوا : ما هذا في الكتاب أو ما هو مذهب الكتاب وليس ثمة كتاب يرجع إليه إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأرعد

وأبرق فى التخويف والتحذير من النظر فى هذه الكتب ، والفقهاء سكوت . ثم قال : ومن العجيب أنهم يقولون أقوالا برأيهم وليست من الشرع ، فيقولون من طراً عليه خلل فى صلاته يعيد فى الوقت ويتحكمون فى دين الله تعالى ، لأنها إما صحيحة فلا إعادة ، وإما باطلة فيعيد أبدا ، فيما لبت شعرى من أين أخذوه فصمت القوم ولم يجبه أحد ، لحدّة الأمر والإنكار... ، ثم قام ابن زرقون وحاول أن يجيب عبدالمؤمن ويحل له الإشكال إلى أن قال " يا سيدى جميع ما فى الكتاب - يعنى المدونة- مبنى على الكتاب والسنة ، وأقوال السلف والإجماع ، وإنما اختصره الفقهاء تقريبا لمن ينظر فيه من المتعلمين والطالبيين ، فانطلقت أسنة الفقهاء الحاضرين حينئذ ووافقونى على ما قلت - أى ابن زرقون- قال ابن زرقون ثم دعا - أى عبدالمؤمن- فقال : اللهم وفقنا يا رب العالمين ، وقام إلى منزله... " (٨٨) .

والمدقق فى كلام ابن حزم وكلام عبدالمؤمن السابق يتضح له أن الأخير كان يتكلم بلسان ابن حزم ، وما كان هدفه من طرح هذه المسألة بالذات إلا إظهار فساد المذهب الفرعى وحمل الناس على الظاهر خاصة وأن هذه المسألة طرحها سحنون فى المدونة بدون حجج ولا براهين وجعل عنوانها " باب ما تعاد منه الصلاة فى الوقت " (٨٩) .

أضف إلى ذلك أن سكوت عبدالمؤمن فى نهاية الجلسة وقيامه إلى منزله ليس معناه أنه أقر فقهاء المالكية على قولهم بخصوص المدونة ، بل لأنه ما قبل منهم الكلام ، ومن ثم لما وجد اتفاقهم على قول ابن زرقون وإصرارهم على المذهب المالكي تراجع عن حملهم على المذهب الظاهري خشية الثورة عليه ، إذ كان يعلم مكانتهم فى نفوس أهل المغرب (٩٠) ، لكن ظل هو ومن حوله متمسكين بالمذهب الظاهري إلى أن تأتى فرصة فرضه والعمل به ، وقد أكد المراكشى ذلك بقوله عند حديثه عن المنصور " وكان قصده فى الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة ، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث ، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده إلا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا - يعنى المنصور- " (٩١) ، ومن هذه المحاورات ما وقع بين يوسف بن عبدالمؤمن ، وأبى بكر بن الجعد المالكي حول كتاب ابن يونس المالكي ، وما فيه من أقوال متعددة وآراء مختلفة ، وانتهى الأمر إلى قول يوسف لا بن الجعد ليس إلا المصحف وسنن أبى داود (إشارة إلى كتب الحديث) (٩٢) .

رابعا : اعتماد الدولة فى القضاء والفتيا والأحكام على القرآن والسنة والإجماع ، وهى الأصول التى اعتمدها المذهب الظاهرى ، وقد كتب حكام الدولة الرسائل للقضاة والعمال بخصوص هذا الشأن ومن ذلك رسالة المأمون للفقير أبى محمد عند توليته قضاء شريش ، ورسالة الرشيد لأبى محمد القاضى بشرىش ، وأخرى لقاض أمره أيضا بالاعتماد على القرآن والسنة والإجماع والاجتهاد ، ولقد سبق المأمون والرشيد فى هذا الأمر يوسف بن عبدالمؤمن ، أضاف إلى ذلك ما أعلنه المرتضى فى رسالة لأهل سبتة جاء فيها (وما تعبدنا ربنا - جلا وعلا- إلا بالظاهر)^(٩٣) وهو القول الذى طالما كرره ابن حزم والظاهرية مرارا فى كتبهم ، وهذا القول يوضح أن الدولة ظلت حتى النهاية متبنية للمذهب الظاهرى ، إذ إن المرتضى كان الحاكم قبل الأخير فى تاريخ الدولة ، أضاف إلى ذلك ما قام به المنصور الموحدى من أمر جماعة من العلماء المحدثين بجمع مجموعة من الأحاديث من كتب السنة ، وأخذ الناس على حفظها حتى حفظها العوام ، وكان يجعل لمن يحفظ ذلك جعلاً من الكساء والأموال ، ونال عنده طلبية الحديث حظوة كبيرة ، وكان لهم ملجا وملذا^(٩٤) .

خامسا : اتخاذ الدولة قضاء ظاهرى المذهب كأحمد بن يزيد بن عبدالرحمن بن بقى بن مخلد الذى تولى قضاء مراکش ، ثم قرطبة وكانت أحكامه على المذهب الظاهرى ، وابن مضاء ، وابن دحية الكلبي ، وغيرهم كثير ، وبلغ من حرص المنصور على نشر المذهب الظاهرى أن اتخذ لابنيه مؤدبا ظاهريا وهو أبى سليمان بن حوط الله الغرناطى الذى كان قد تولى قضاء قرطبة وإشبيلية ومرسية وسبتة وسلا وميورقة ، وذلك لينشئهم على أصول المذهب^(٩٥) .

وقد أثمرت سياسة المنصور هذه إذ إن ابنه الناصر لما فتح ميورقة واستردّها من بنى غانية المالكية حرص على أن يولى عليها قاضيا ظاهريا وهو ابن حوط الله ليحافظ على المذهب الظاهرى بالجزيرة ويعيده إلى سابق عهده كما كان أيام ابن حزم^(٩٦) ، بل إن القضاة أنفسهم كانوا إذا استتابوا عنهم أحدا فى الأحكام يختارونه من الظاهرية مثل أبى الحسن على بن عبدالله بن يوسف بن خطاب المعافرى قاضى إشبيلية (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م) والذى استتابه القضاة كثيرا فى الأحكام^(٩٧) ، وقد أكد صاحب بيوتات فاس سياسة الدولة الموحدية بتولية قضاة لا يحكمون إلا بالظاهرية فى قوله " ولما قلدوا القضاء بالمغرب إلى قاضى القضاة عبدالله بن طاهر الصقلى الحسينى أمره أن يأمر القضاة بالمغرب أن يحكموا بمحصل الظاهرية ، فامتثلوا

أمره ، وصاروا لا يحكمون إلا بمحض الظاهرية، وجروا على ذلك السنن بطول أيامهم^(٩٨) .

سادسا : أن ابن تومرت مزج دعوته بالمذهب الظاهري فى الجانب الفقهي ليحارب به المرابطين كما حارب به ابن حزم المالكية^(٩٩) حيث ذهب ابن تومرت إلى قرطبة وهناك تشبع بتعاليم ابن حزم^(١٠٠) ومنها أن الشريعة لا تثبت بالحقل وأن أصولها تنحصر فى القرآن والسنة ، ولم يعتبر القياس والإجماع الذى لا نص يؤيده من تلك الأصول بل عمد إلى حجج القائلين بالقياس وأبطلها ، واهتم بدراسة الأصول دون الفروع وأبطل الاعتماد على الشك والظن والتقليد ودعا إلى التاصيل الشرعى للأحكام من نصوص القرآن والسنة ، كما دعا إلى الجهاد ضد القوى التى عملت على نشر المنكر ، وقاوم المنكرات بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر^(١٠١) .

بل إن المطلع على كتاب المهدي محمد بن تومرت سرعان ما يتضح له أثر الفكر الظاهري عليه ، إذ أنه عبارة عن دعوة للعودة إلى الكتاب والسنة ، حيث بوب كتابه وأفتى فى كل مسألة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية^(١٠٢) ، بسل إن ابن تومرت خطا خطوة أكدت ظاهريته حينما أمر بقطع كتب الفروع الفقهية وحرقتها على قول شارح كتاب أعز ما يطلب^(١٠٣) وهو ما أكده ابن الخطيب حينما قال إن ابن تومرت كان ينكر كتب الرأى والتقليد^(١٠٤) وكذا أثبت الونشريسي ظاهريته^(١٠٥) ، بل إن صاحب بيوتات فاس كان أكثر جراءة وصراحة حينما صرح بظاهرية دولة الموحدين من أول ظهورها حتى انتهائها حينما قال "إن ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم ، تابعين للمهدي رئيسهم الأول القائل .. بإنكار الرأى فى الفروع الفقهية والعمل شرعا على محض الظاهرية ... وجروا على ذلك السنن بطول أيامهم إلى أن انقروا ، أولهم فى ذلك مهديهم أول ملوكهم ..."^(١٠٦) وهذا القول أكده صاحب كتاب الإعلام^(١٠٧) ، وباستقراء تاريخ الدولة الموحدية نجد أن كل من عبد المؤمن بن علي^(١٠٨) والمنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن^(١٠٩) والناصر بن المنصور^(١١٠) قد تابعوا ابن تومرت فى تقطيع كتب الفروع وإحراقها وتغيير الناس منها وحمل الناس على محض الظاهرية.

سابعا : كثرة الظاهرية فى عهد الموحدين حتى شكلوا تجمعا ضد المالكية ، وهو الأمر الذى لم يحدث من قبل ومنهم على سبيل المثال لا الحصر محمد بن عبدالله بن مروان التلمساني قاضى الجماعة فى عهد المنصور الموحدى وابنه محمد الناصر ٥٩٥هـ-٦١١هـ/١١٩٩م-١٢١٤م الذى عرف بتعصبه لابن حزم ، وإبراهيم بن

يعقوب المنصور الموحدى الذى ولى على إشبيلية مرتين ووزر لأخيه محمد الناصر، وكان يذهب مذهب أبيه فى الظاهرية ، وعلى بن عبدالله بن يوسف قاضى إشبيلية (١١١) ، وعبدالمنعم بن محمد بن عبدالرحيم الخزرجى الذى تولى قضاء غرناطة وجزيرة شقر ومدينة وادى آش وجيان ، ثم تولى الحسبة والشرطة فى عهد المنصور الموحدى (١١٢) .

ومن الظاهرية أبو بكر محمد بن علي بن العربي الصوفي الظاهري صاحب الفتوحات المكية المشهور بمحبي الدين بن عربي والشيخ الأكبر وبابن أفلاطون وقد أصطلح أهل المشرق علي ذكره بغير ألف ولام تمييزا له عن القاضي أبي بكر بن العربي المالكي خصم الظاهرية . سمع كتب ابن حزم من شيخه عبد الحق الإشبيلي ، واهتم بنشرها والتعليق عليها ، وأثر عنه رؤيا حدث عنها بقوله : " رأيت النبي صلي الله عليه وسلم فى المنام وقد عانقه أبو محمد بن حزم المحدث فغاب الواحد فى الآخر فلم نر إلا واحدا ، وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام فهذه غاية الوصلة" (١١٣) ، وهذه الرؤيا تشير إلي أن المعتنق لفكر ابن حزم معتقاً لفكر النبي صلي الله عليه وسلم . بيد أن ظاهرية ابن العربي لم تكن كظاهرية ابن حزم فالأول قصرها علي العبادات وسلك فى الاعتقادات مسلك المتصوفة أصحاب الباطن ، والثاني طبق ظاهريته علي العبادات والاعتقادات فى آن واحد، وهذا شأن غريب من ظاهري يعد رأس أهل الباطن من الصوفية (١١٤) .

ومن الظاهرية فى عهد الموحدين أحمد بن الرحمن بن محمد بن مضاء القرطبي قاضى القضاة بدولتهم وصاحب كتاب الرد علي النحاة، والمشرق فى النحو، وتزيه القرآن عما لا يليق بالبيان ، وقد صنفهم لتأصيل مذهب جديد فى النحو يعارض فيه النحو المشرقي الغارق فى التأويل بناء علي منهج ظاهري يقوم علي إلغاء القياس والتعليل وإلغاء نظريات وعلل كثيرة فى النحو (١١٥) ، وعبدالكريم بن عبدالملك بن عبدالله البجائى (من أهل القرن السابع الهجرى) كان معروفا عند خلفاء بنى عبدالمؤمن ، وإليه كان مرجع الفتيا وعلى قوله العمل (١١٦) .

ثامنا : معاقبة حكامها بالحبس لمن يتعرض بالنقد للهدام لابن حزم ومذهبه ، ومن يدعو إلى التقليد وكتب الفروع وذلك مثل ما حدث لمحمد بن سعيد بن أحمد الأنصارى المعروف بابن زرقون بسبب تعصبه للمذهب المالكي وانتقاده لابن حزم انتقاصا لقدره وليس تقويما فى كتابه (المعلى فى الرد على المحلى والمجلى لابن حزم) ، وتدرسه لكتب الفروع وقد نهى عنها المنصور (١١٧) ، والقاضى أبو بكر بن

العربي المالكي الذي انتقد ابن حزم في رسالة له أسماها (الغرة) انتقد فيها كتاب (الدرر في الاعتقاد) لابن حزم ^(١١٨) ، وأبو بكر الجياني (ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩م) الذي سجنه المنصور بسبب دعوته للتقليد ^(١١٩) وأبو بكر محمد بن علي بن خلف التجيبي الإشبيلي (ت ٥٩٦هـ / ١١٩٩م) الذي وشى به للمنصور أيام ألزم الناس بالأثر والظاهر فسجن مع ابن زرقون وعرض للقتل لكنه خلص من النكبة فلزم داره حتى مات ^(١٢٠) .

وكانت لهذه السياسة آثار بعيدة في زيادة الظاهريين والمهتمين بالفكر الحزمي وهو ما يقرره ابن العربي المالكي الذي وصف كثرة الظاهرية في صدر دولة الموحدين بقوله " وجدت القول بالظاهر قد ملأ المغرب " ^(١٢١) وأكد ذلك كل من عقيل بن عطية القضاعي ، والمراكشي صاحب (المعجب) حيث يقول القضاعي عن الطائفة الكبيرة التي اتبعت ابن حزم في عصر الموحدين : " تعظمه تعظيما مفرطا بحيث تقلده في جميع أقواله ، ولا ترى مخالفته في شيء من مذهبه وإذا ظهر لها في كلامه الخطأ البين والوهم الصراح لم تقبله ، وأحالت بالوهم والخطأ على من يتعاطى الرد عليه أو على نفسها بالعجز عن الانتصار لذلك القول المرود " ^(١٢٢) ، ويقول المراكشي في حدود سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م في ختام ترجمته لابن حزم : " وإنما أوردت هذه النبذة من أخبار هذا الرجل ، وإن كانت قاطعة للنسق مزيجة عن بعض الغرض لأنه أشهر علماء الأندلس اليوم وأكثرهم ذكرا في مجالس الرؤساء ، وعلى أسنة العلماء وذلك لمخالفته مذهب مالك بالمغرب ، واستبداده بعلم الظاهر ، ولم يشتهر به قبله عندنا أحد فيما علمت ، وقد كثرت مذهبه وأتباعه عندنا بالأندلس اليوم) ^(١٢٣) ، ومن كلام المراكشي يتضح أن المذهب الظاهري ظل مذهباً رسمياً للدولة الموحدية حتى سقوطها ، إذ إن كلامه كان بعد وفاة المنصور الموحدى بأكثر من ربع قرن ، وفي ذلك رد على من ادعى أن الدولة تبنت المذهب الظاهري في عهد المنصور فقط ثم سرعان ما زال المذهب بزواله ^(١٢٤) .

تاسعا : أن مشايخ الموحدين قدموا المنصور بن يوسف للخلافة ، رغم معرفتهم أنه ظاهري ، وكان مشهورا بظاهريته أيام كونه وزيراً في عهد أبيه ^(١٢٥) ، ولو كان لهؤلاء المشايخ نهجا مذهبياً غير المذهب الظاهري لما قدموا المنصور ، ولعارضوا من قدمه أصلاً ، كما كان الحال في عهد المرابطين المالكية الذين اعتبروا أن مذهب الظاهرية بدعة ، ورفضوا تولية أي ظاهري منصب من المناصب الهامة في الدولة ^(١٢٦) ، كما أن محمد الناصر بن المنصور استوزر أخاه إبراهيم بن

المنصور الذي كان يذهب مذهب أبيه في الظاهرية على حد قول المراكشي، وقد ظل إبراهيم في الوزارة حتى عام ٦٠٥هـ/٢٠٨م ثم ولاة الناصر على إشبيلية^(١٢٧)، وهذا الذي فعله الناصر يؤكد خطأ ما ذهب إليه البعض من أن الدولة كانت ظاهريّة فقط في عهد المنصور ، ويبطله أيضا قول صاحب بيوتات فاس بان الناصر كان كأبيه لا يحكم إلا بمحض الظاهرية ، وأن دولة الموحدين كلها من بدايتها إلى نهايتها كانت دولة ظاهريّة كما أسلفنا^(١٢٨) ، ولو كانت الدولة غير ظاهريّة لما سكت شيوخ الموحدين عن هذا التمكين للظاهريّة ورجالها .

أضف إلى ذلك حرص حكام الموحدين للنفاع عن ابن حزم والمذهب الظاهري وتشجيع علماء الظاهريّة للرد على منتقدي ابن حزم والمذهب الظاهري مثل أحمد بن محمد بن حزم المنحجي الذي صنف كتابا أسماه (الزوابع والدوامغ) انتقد فيه أبا بكر بن العربي المالكي في كتابه الذي رد فيه على ابن حزم والموسوم باسم (الدواهي والنواهي في الرد على ابن حزم) ، وقد أتى أحمد بن محمد بن حزم على كل شبهة روج لها ابن العربي ، وأبطل كل مقولة ردها في كتابه هذا^(١٢٩) ، هذا فضلا عن حرصهم على العناية والاهتمام البالغ بفقهاء الظاهريّة مثل الحافظ إبراهيم بن خلف السنهاوري الدمشقي (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م) الذي دخل الأندلس والمغرب فالتف حوله جماعة من الظاهريّة درسوا على يديه ورووا عنه مثل ابن حوط الله الظاهري ، وابنه محمد ، وأبو العباس النباتي الظاهري ، وابن القطان الفاسي المالكي صاحب النزعة الظاهريّة ، وولد ابن القطان ، وليس أدل على عناية الموحدين بالسنهاوري أنه لما وقع في أسر النصارى خلصه محمد الناصر بن المنصور وأحسن إليه ، أضف إلى ذلك حرص حكام ولاة الموحدين على تقريب علماء الظاهريّة وأئمتها منهم مثل المنتصر بالله حاكم بجاية الذي استحسن جهود ابن سيد الناس اليعمرى الظاهري (ت ٦٥٩هـ/١٢٦٠م) وآثاره للتمكين للمذهب الظاهري ببجاية فقرب منزله وأجزل عطيته وجائزته ، وكان من أخص الحاضرين بمجلسه^(١٣٠) .

عاشرا : أن المعاصرين للأحداث من المؤرخين والفقهاء ومن جاء بعدهم أقروا بأن الدولة الموحدية كانت دولة ظاهريّة تحتكم للفقهاء الظاهري ، وقد أسلفنا قول القضاء المالكي ، وقول المراكشي عن ابن حزم وكثرة أتباعه في عهد الموحدين ، وكثرة ذكره على ألسنة العلماء والحكام مما هو غنى عن إعادته .

وللمراكشي شهادة أخرى توضح ظاهريّة الدولة الموحدية قال فيها عن المنصور الموحدى " وفي أيامه انقطع علم الفروع ، وخافه الفقهاء ، وأمر بإحراق كتب المذهب

بعد أن مجرد ما فيها من حديث رسول الله والقرآن... وتقدم إلى الناس فى ترك
الاشتغال بعلم الرأى والخوض فى شىء منه ، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة ...
وكان قصده فى الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة ، وحمل
الناس على الظاهر من القرآن والحديث ، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده
إلا أنهما لم يظهرهما وأظهره يعقوب هذا - يعنى المنصور - " (١٣١) ، فهذه شهادة
مؤرخ معاصر للأحداث يؤكد على أن هدف كل من عبدالمؤمن وابنه يوسف وحفيده
المنصور هو حمل الناس على المذهب الظاهرى ، ويؤكد ذلك شهادة ابن زرقون
المالكي التى أسلفنا ذكرها بأن عبدالمؤمن بن على كان هدفة من المناظرات بين
الظاهرية والمالكية حمل الناس على الظاهر ؛ وشهادة ابن حصويه السرخسى للدمشقى
(ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م) الذى رحل إلى المغرب وأقام بمراكش عند المنصور الموحدى
وأخبر بأن الفقهاء كانوا ينسبون المنصور إلى مذهب الظاهر (١٣٢) .

وهذا صاحب بيوتات فاس المتوفى فى العصر المرينى يقول " إن ملوك
الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم ، تابعين للمهدى رئيسهم الأول القائل باعتقاده
الفاسد بإنكار الرأى فى الفروع الفقهية والعمل على محض الظاهرية ... وجرؤا على
ذلك السنن بطول أيامهم" (١٣٣) ، وقد وافقه على ذلك صاحب كتاب الإعلام (١٣٤) ،
وفى موضع آخر نرى صاحب بيوتات فاس يؤكد على ظاهرية الدولة الموحدية من
بدايتها إلى نهايتها فى الحكم والقضاء وخلافه بقوله " ولما ولى يعقوب المرينى
المذكور وطلب منه أهل المغرب الرجوع فى القضاء إلى مذهب مالك عن طيب
أنفسهم ، أمر قضاء المغرب بذلك وترك مذهب الظاهرية " (١٣٥) ، وهذا النص واضح
وجلى على استمرار ظاهرية الدولة حتى عصر يعقوب المرينى الذى حكم من سنة
٦٥٦هـ/١٢٥٨م حتى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م.

وممن أكد على ظاهرية المنصور والدولة الموحدية ابن جزى الغرناطى
(ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) حيث قال " المنصور أبو يوسف يعقوب ، كان عالما محدثا
ألف كتاب الترغيب فى الصلاة ، وحمل الناس على الظاهرية ، وأحرق كتب
المالكية" (١٣٦) ، والحافظ الذهبى (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) الذى قال عن المنصور "
ألزم الناس باخذ الفقه من الكتاب والسنن على طريقة أهل الظاهر ، فنشا الطلبة على
هذا بالمغرب بعد سنة ثمانين وخمسمائة" (١٣٧) والشاطبى المالكي
(ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م) الذى قال عن مذهب ابن تومرت " وكان مذهبه البدعة
للظاهرية" (١٣٨) وفى موضع آخر ينسب الموحدين للظاهرية المحضة بقوله " فمزقوا

كتب المالكية وسموها كتب الرأى ، وتكلوا بجملة من الفضلاء بسبب أخذهم فى الشريعة بمذهب مالك ، وكانوا مرتكبين للظاهرية المحضة ... وثبتت زمانا طويلا ، ثم ذهب منها جملة ، وبقيت أخرى منها إلى اليوم " (١٣٩) . وذهب النباهى المالقي الأندلسى إلى ظاهرية المنصور الموحدى ودولته أيضا (١٤٠) ، وكذلك وصف ابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م) دولة بنى عبدالمؤمن بالظاهرية كما سبق (١٤١) ، وقد سبق ذكر كلام البرزالي عن ظاهرية الموحدنين ، وكذا وصف الونشريسي (٩١٤هـ / ١٥٠٨م) ابن تومرت بالظاهرى فقال " ومنها ما أحدثه المهدي الظاهرى محمد بن تومرت " (١٤٢) ، وذهب ابن العماد الحنبلى إلى ظاهرية الموحدنين (١٤٣) ، ومثله ابن رأس العسكرى (ت ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م) ، والشيوخ عيش المالكي (ت ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م) كما سبق ، وابن خضراء السلاوى (١٤٤) .

وقد ذهب إلى هذا الرأى - ظاهرية ابن تومرت والموحدنين - جماعة من الباحثين المحدثين منهم الأسباني أنخل جونثالث بالننثيا (١٤٥) ، ومحمد المنونى المغربى (١٤٦) ، ومحمد عبدالله عنان (١٤٧) ، والحجوى الثعالبى الفاسى (١٤٨) ، وعبدالحفيظ الفاسى ، ومحمد زاهد الكوثرى ، وسعيد الأفغانى ، وسعيد أعراب ، والدكتور إحسان عباس ، والدكتور شوقى ضيف ، وفؤاد سزكين ، وبطرس البستاني، والدكتور عباس الجراوى ، وأحمد أمين (١٤٩) ، ومراجع عقيلة الغناى (١٥٠) ، والإمام محمد أبوزهرة (١٥١) ، وابن عقيل الظاهرى (١٥٢) ، والدكتور زكريا إبراهيم (١٥٣) ، والدكتور فاروق عبدالمعطى (١٥٤) ، والدكتور محمد إبراهيم الفيومى (١٥٥) ، والدكتور حسان محمد حسان (١٥٦) ، والعلامة محمد بن الأمين بوخيزة الحسنى النطوانى الظاهرى ، والدكتور توفيق الغلبزورى (١٥٧) والباحث النابه فى تراث ابن حزم سمير قدورى (١٥٨) ، وغيرهم كثير مما لم نقف عليهم ، ولا شك أن العرض السابق يوضح خطأ بعض الباحثين فيما ذهب إليه من عدم تأثر الموحدنين بالفقه الظاهرى الحزمى (١٥٩) .

أكتفى بهذا القدر وأعدكم بأن آتيكم بما هو أجلى وأوضح مما طرحته عليكم ، خاصة وأنا بصدد نشر أطروحة الدكتوراة ، فضلا عن إعداد كتاب عن المذهب الظاهرى تحت مسمى " دراسات فى المذهب الظاهرى " ضمنته فضلا عن ظاهرية الموحدنين .

دوافع اختيار الموحدين للمذهب الظاهري مذهباً رسمياً .

اتخذ حكام الموحدين من المذهب الظاهري مذهباً رسمياً لهم خاصة في عهد أبي يوسف يعقوب المنصور الذي عمم العمل بالمذهب في الفتيا والقضاء وغيرهما بالمغرب والأندلس، ويرجع ذلك إلى أسباب عدة منها :

أولاً : أن الفتاوى الشرعية التي تصدر عن فقهاء الأندلس لا تعتمد على القرآن والسنة مباشرة، وإنما على مذهب مالك، حتى أن المصدر الإلهي قد تنوسى تماماً^(١٦٠).

ثانياً : الإعجاب الذي كان يكنه المهدي محمد بن تومرت مؤسس الدولة لابن حزم وتأثره به في عدة مسائل تعتبر قوام مذهب الديني، مثل قوله بأن الشريعة لا تثبت بالعقل، وانحصار أصولها في القرآن والسنة وغيرها^(١٦١) وتابعه في ذلك كل من عبدالمؤمن بن علي، ويوسف ابنه، وحفيده المنصور بل وباقي الحكام^(١٦٢) .

ثالثاً : الخلافات في كتب الفروع حول المسألة الواحدة، والتي أدت إلى ضياع الحق وإجهاد الناس، خاصة المقلدين في التعرف على أوجه الصواب من دينهم ؛ مما كان له أثر كبير في تمسك هذه الدولة بالمذهب الظاهري.

رابعاً : انتشار مذهب المجسمة الذي يفسر الآيات القرآنية التي بها تشبيه للذات الإلهية تفسيراً حرفياً^(١٦٣) .

خامساً : عواطف المالكية الجياشة على انقراض الدول المرابطية صاحبة الانتصار الأكبر على النصارى في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م، والتي ضمنت بقاء المسلمين بالأندلس نحو أربعة قرون تالية، وكان ذلك أحد الأسباب التي دفعت مؤسس الدولة الموحدية إلى تغيير المذهب المالكي التي اعتنقته الدولة المرابطية إلى المذهب الظاهري أكثر المذاهب معارضة له^(١٦٤) .

سادساً : أن ابن تومرت لم ينس ما تعرض له في مراكز على يد فقهاء المالكية في عهد علي بن يوسف ، وشايتهم به لديه حتى أمر بقتله ، لولا خروجه إلى تينمل، كان هذا في الوقت الذي لقي فيه ابن تومرت تأييد جماعة من الظاهرية وافقوه على دعوته ، خاصة ما كان من فقهاء فاس كما سبق ، فضلا عن أن ابن تومرت أخذ على عاتقه نشر التوحيد الكلامي القائم على التأويل ، وهو ما وجد معارضة شديدة من فقهاء المالكية ، في حين كان ابن حزم وهو أحد أقطاب الظاهرية ومجدد المذهب ، يدعو إلى التوحيد الكلامي ، وله أقوال حول الآيات المتشابهة بسطها في كتابه الفصل^(١٦٥) ، بل له كتابٌ مفصلٌ في علم الكلام أسماه (علم الكلام على مذهب أهل

السنة والجماعة) ، الأمر الذي دفع ابن تومرت إلى تبني المذهب الظاهري تأييدا لجهوده في نشر علم الكلام ، أضيف إلى ذلك أن ابن تومرت تلقى أصول المذهب الظاهري في قرطبة . كما درس المذهب على يد الطرطوشي أحد المهتمين بالفقه الظاهري وكتب ابن حزم^(١٦٦) ، فوجد في المذهب أمورا تتوافق مع عقليته وتفكيره مثل الثورة على الحاكم الجائر ، ورفض القياس والظن في الأحكام فاعتمده في الفقه وفي بعض أمور العقيدة ، وآخر هذه الأسباب تربية المنصور بن يوسف تربية ظاهرية ، حتى إنه نشأ فوجد أباه قد قلدا ظاهريا القضاء وهو أحمد بن مضاء ، ثم جعله قاضي قضاء^(١٦٧) ، فضلا عن إيداء يوسف وأبيه عبدالمؤمن إعجابهما بالمذهب الظاهري ورغبتهما في نشره والقضاء على كتب الفروع ، الأمر الذي دفع المنصور إلى هذا المذهب دفعا ، ولذا فلا غرو أن يقول عن مجدد المذهب ابن حزم قولته الشهيرة لما مر على قبره : " عجا لهذا الموضوع يخرج منه مثل هذا العالم " ثم قال : " حقا كل العلماء عيال على ابن حزم "^(١٦٨) .

• •

هوامش البحث

- (١) عبد الله بن مسلم بن كتيبة الدينوري ، تأويل مختلف الحديث ، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ، دار الكتب الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٤٤ ، وداود بن علي الظاهري ولد سنة ٢٠١هـ/٨١٦م ، وكان يحضر مجلسه أكثر من أربعمائة فقيه يلبسون الطيلسان ، توفي سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م أنظر: ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٦٣/١١ .
- (٢) محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ت.) ، ص ٥٣١ .
- (٣) عباس محمود العقاد ، التفكير ضرورة إسلامية ، نهضة مصر ، ١٩٩٨م ، ص ١٠٨ .
- (٤) ابن القرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ٢٧٨ ، ٣٧٩ . وعن عبدالله بن قاسم أنظر نفس المصدر ، ١ / ٣٧٨ ، ٣٧٩ .
- (٥) عبدالله بن الحسن اللباني ، تاريخ قضاء الأندلس ، نشر ليفي بروفنسال ، دار للكتابت للمصري ، ١٩٤٨م ، ص ٧٤ ، ٧٥ ؛ وانظر Miguel Asin Placios , Aben Hazam De Cordoba , Madrid , ١٩٢٧ , T.١ , P.١٣٢ - ١٣٤ . ومنذر بن سعيد هو قاضي القضاة في عهد كل من عبدالرحمن الناصر والحكم المستنصر ، ولد سنة ٢٦٥هـ/١٧٨م ، وتوفي سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م لمزيد من التفاصيل . أنظر: اللباني ، مصدر سابق ، ص ٧٥، ٧٤ .
- (٦) ابن بشكوال ، الصلة ، تحقيق إبراهيم الإياري ، دار الكتاب المصري واللبناني ، القاهرة - بيروت ، ط ١١ ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، ١ / ٢٩١ ، ٢ / ٦٧٤ ، ٣ / ٨٦٦ ، ٨٩١ ، ٩٣٧ ؛ وانظر الضبي ، بغية الملتبس ، ص ٣٠٥ .
- (٧) عبدالباقي السيد ، ابن حزم الظاهري وأثره في المجتمع الأندلسي ، رسالة ماجستير ، أدب عين شمس ، ٢٠٠٤م ، ص ٧٤-٨٠ .
- (٨) ابن حزم ، النبذة الكافية في أصول أحكام الدين ، تحقيق محمد سعيد لبديري ، دار للكتاب المصري واللبناني ، القاهرة - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ص ٤٧-٤٩ .
- (٩) أنظر : جامع بيان العلم ، دار الكتب الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ص ٥٣٣-٥٣٥ .
- (١٠) ابن وضاح حفيد لأحد موالى عبدالرحمن الداخل ولد سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م رحل للمشرق وسمع من شيوخ الحديث ثم عاد إلى الأندلس لبث ما حصله من أحاديث توفي سنة ٢٧٢هـ/٩٠٠م عنه أنظر ابن القرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ١ / ١٧١ ، وقاسم بن أصبغ أحد المحدثين بالأندلس من كتبه مصنف في الحديث ، وكتاب المجتبي في الفقه ، وكتاب أحكام القرآن ، توفي سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م أنظر ابن حزم ، رسالة في فضل الأندلس ضمن رسائل ابن حزم ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٣/١٧٩ .
- (١١) اللباني ، تاريخ قضاء الأندلس ، ص ٧٤ ، ٧٥ ؛ وانظر Miguel Asin Placios , Aben Hazam De Cordoba , Madrid , ١٩٢٧ , T.١ , P.١٣٢ - ١٣٤

(١٢) أنظر: رسالتان لابن حزم أجاب فيهما عن رسالتين ؛ ص ١١٥، ١١٦؛ وانظر: بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٥٥م ، ص٢١٥.

(١٣) أنظر: رسائل ابن حزم ، ٧٣/٣-١٢٨.

(١٤) نقلا عن الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى ، مؤسسة الرسالة، ط١١ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ١٨/١٩٩٩. وابن العريف هو أحمد بن محمد من قبيلة صنهجة ولد بالمرية سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م وكان أحد أقطاب الصوفية في الأندلس .
انظر: الضبي ، بغية الملتبس ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧م ، ص١٦٦.

(١٥) أنظر: رسالة في الرد على الهاتف ، ص١٢٦. وعن محمد بن سعيد الميورقي أنظر: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار الكتاب المصرى واللبنانى ، للقاهرة بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، رقم ٤٤٣. وابن الباربة لم نعثر له على ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

(١٦) للذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، دار الغد العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ٤٤٤/١١، ٤٤٦؛ سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٩ ، ١٤١٣هـ، ٨١، ٨٢/١٨، ومكي بن أبى طالب أحد علماء التفسير و القراءات بالأندلس ولد بالقيروان سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م ومن أشهر كتبه في التفسير الهداية إلى بلوغ النهاية وإعراب القرآن ، و أبو عمرو الداني هو شيخ مدرسة القراءات بالأندلس و له في علم القراءات عدة مؤلفات منها كتاب التيسير لمزيد من التفاصيل عنهما ، أنظر: المقرئ ، نفع الطيب ، ٣٣٥/٢-٣٣٧، ١٧١.

(١٧) من أشهر مناظرات ابن حزم ما وقع بينه وبين أبى الوليد الباجى حول أصول المذهب المالكي، وما وقع بينه وبين الليث بن حرفش العبدي في مجلس القاضي عبدالرحمن بن بشر وفي حضرة العديد من فقهاء المالكية ، وكان موضوع التناظر يدور حول (القول بكتمان الإمام مالك للحديث الصحيح والناسخ ولم يظهرهما حتى مات) ، ومن ذلك ما وقع بينه وبين كبير أصحاب القياس - لم يذكر اسمه - حول حجية القياس في مجلس حافل بالمالكية . عن ذلك بالتفصيل أنظر : ابن حزم ، الأحكام فى أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة، ط١٤١٣، ٢هـ/١٩٩٢م ، ١/٢٤٢ ، ٢/٣٨٩ ، ٣٩٠ ، عبدالباقي السيد ، ابن حزم، ص٧٤-٧٨.

(١٨) أنظر : النبذة الكافية فى أصول أحكام الدين ، تحقيق محمد سعيد البدرى ، دار الكتاب المصرى واللبنانى ، القاهرة-بيروت ، ط١٤١٢، ١هـ/١٩٩١م، ص ٧١-٨٦، ٨٢-٩٠؛ المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار، تحقيق، عبدالغفار سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٨م ؛ ١/٧٨-٨٧

- (١٩) أنظر : رسالتان له أجاب فيهما عن رسالتين، رسائل ، ٣/١١١، ٨٨
- (٢٠) نقلا عن الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٨/٢٠٣، ٢٠٢
- (٢١) أنظر المحلي، ٧/٥٦٩، ٥٦٨؛ وأنظر: إحسان عباس ، رسائل ابن حزم ، ٢/١٨١ هامش (١)
- (٢٢) نقلا عن الكفائي ، مؤلفات ابن حزم ورسائله بين أنصاره وخصومه، مجلة الثقافة المغربية، شوال - ذوالقعدة ١٣٨٩هـ/يناير-فبراير ١٩٧٠م ، ص ٩٥، ٩٤ ، وابن سهل هو احد فقهاء الأندلس المتعصبين للمذهب المالكي تولى القضاء وله عدة مصنفات أشهرها الأحكام الكبرى . أنظر: النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٩٦-٩٧ .
- (٢٣) أنظر الحميدي ، حنوة المقتبس ، ٢/٤٨٩-٤٩١؛ ابن بسلام ، النخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، مجلد ١ قسم ١ ص ١٦٧؛ الفتح بن خاقان ، مطمع الأنسي ، تحقيق محمد علي شوابكه ، دار عمار مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ٢٨٠، ٢٧٩ ، الذهبي ، سير أعلام ، ١٨/٢٠١، ١٨٧، ١٨٤؛ السيوطي ، طبقات الحفاظ ، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبه، القاهرة ، ط ٣، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ص ٤٣٦؛ ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) ، ٢٩٩/٣ .
- (٢٤) للذهبي ، سير ، ١٨/١٨٤ .
- (٢٥) نقلا عن الذهبي ، سير ، ١٨/١٩٣، ١٨٧ .
- (٢٦) ابن العريف ، مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ، تحقيق عصمت عبداللطيف دندش ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ص ٩١، ٩٣ .
- (٢٧) عبدالباقى السيد ، ابن حزم ، ص ٢١١ .
- (٢٨) ابن حزم ، الفصل ، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ١/٣٧٦-٣٩٣ ، ٢/٢٦، ٢٥ ، ٣٤-٤٧ ، ١٦٨-١٨٦ ، ٣٦٦-٣٦٩ .
- (٢٩) عبدالواحد المراكشي ، للمعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي ، مطبعة الاستقامة، للقاهرة، ط ١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م ، ص ١٥١ .
- (٣٠) كان الميورقي فقيها ظاهريا محدثا عارفا بالحديث وعظه وأسماء الرجال ، توفي سنة ٥٣٧هـ . أنظر: ابن الخطيب ، الإحاطة ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ٣/١٩٠، ١٩١ .
- (٣١) حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ص ٢٠ .

(٣٢) نقلا عن الوثريسي ، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والمغرب ، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ٢/٣٤١-٣٤٤ .

(٣٣) نقلا عن الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٨/١٨٩ ، وانظر : عصمت هانم عبداللطيف فندش ، الأندلس في نهاية عصر المرابطين وبداية عهد الموحدين ، رسالة دكتوراة ، آداب عين شمس ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٣٦ .

(٣٤) كان محمد بن عبدالرحمن بن عوف (ت ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م) فقيها مالكيا بميوزقة ، وله مكانة مرموقة ، فلما قلم ابن حزم ميوزقة قلمت مكانته ونظرانه من المالكية بمساعدة أحمد بن رشيق حاكم ميوزقة . أنظر عصام سالم سيسالم ، جزر الأندلس المنسية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ٥٥ .

(٣٥) نفسه ، ص ٥٠٧ ، ٤٦٨ ، ٥١٤ . ص ٥٠٧ . ومن القضايا الخلافية بين المالكية والظاهرية التي تم الجدل والمناظرة فيها مسألة مس المصحف للجنب فقد ذهب المالكية إلى عدم جواز مس الجنب له ، في حين أجاز للظاهرية ذلك ، وفيمن حرم على نفسه شيئا من المباحات ، قال المالكية لا يلزمه من ذلك شيء ما عدا الزوجه ، وقال الظاهرية لا يلزمه شيء من ذلك ، وفيمن أصغر ولم يستطع النفقة على زوجته قال المالكية يفرق بينهما ، وقال أهل الظاهر لا يفرق بينهما ، وفي شهادة العبد رفضها المالكية وأجازها الظاهرية ، وفي حد العبد إذا كذب الحر فقال المالكية نصف حد الحر ، وقال الظاهرية يحد حد الحر ، إلى غير ذلك من المسائل أنظر : ابن رشد ، بداية المجتهد ، دار الفكر ، بيروت ، ١/٣١٠ ، ٣٩٠ ، ٣٣١ ، ٣٤٧/٢ .

(٣٦) قال ابن تومرت لعلى بن يوسف (قد وجب عليك إحياء السنة وإماتة البدعة ، وقد ظهرت بملك المنكرات وفتت البدع ، وقد أمرك الله بتغييرها وإحياء السنة بها ..) أنظر : ابن أبي زرع ، الأئيس المطرب برووض القرطاس ، تحقيق عبدالوهاب بن منصور ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص ٢٢١ .

(٣٧) نفسه ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ؛ وتتمثل قرية قديمة وقلة منيعة بالسوس ، تقع على بعد كيلومتر واحد من للطريق للذاهب من مراكش لردانة أنظر : نفس المصدر ، ص ٢٢٤ ، هامش ٣٢٦ .

(٣٨) رسائل موحدية ، تحقيق أحمد عزاوي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإسمانية بالقنيطرة ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ١/٤٣ .

(٣٩) نفسه ، ١/٤٤-٤٧ . وقد سمى المهدي أتباعه بالموحدين لاتباعهم في نظره عقيدة التوحيد الخالص ، وتصبح كلمة التوحيد بعد ذلك ذات منلول سياسي بمعنى الخضوع لدولة الموحدين .

- (٤٠) أنظر: رسائل موحدية، ٤٩، ٤٨/١، عبدالله على علم، الدعوة الموحدية بالمغرب، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٢٠٢، ٢٠١.
- (٤١) ومن ذلك قوله (فمعاذ الله أن نكفر مسلما كما قالوا أو نمنع من الصلاة على أهل القبلة أو نسقط الحقوق أو العبادات بالتوبة أو نطرح أئمة الدين وعلماء الأمة، أو نرد المطلقة ثلاثا إلى زوجها من غير حق وزوج، أو نخرج عن إجماع المسلمين أو نخالف أئمة المسلمين وأمرأهم . فهذه جملة ما نسبوا إلينا ولم نقل منه حرفا واحدا ولكن خرقوا ما قلنا ولسوا به على الناس حتى أضلوا بتدليسهم كثيرا وقطعوا عن ربهم وفتنواهم في دينهم) أنظر: عبدالله على علم، الدعوة الموحدية، ص ٢٠٣، ٢٠٢.
- (٤٢) صلاح السيد عبده رمضان، التربية الإسلامية بالمغرب الأقصى في عهد الموحدين، رسالة دكتوراه، كلية التربية ببها، جامعة الزقازيق، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٢٢٧، ٢٢٨.
- (٤٣) للكناني، مؤلفات ابن حزم ورسائله بين أنصاره وخصومه، ص ٨٦.
- (٤٤) عبدالمجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته وأروه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٠٥.
- (٤٥) أفتى ابن حزم بأنه إن وقع شيء من الجور وإن قل فمن الواجب أن يكلم الإمام في ذلك ويمنع منه، فإن امتنع وراجع الحق وأذعن للظلمة من البشرية أو من الأعضاء، وإقامة حد للزنا والتلف والخمر عليه، فلا سبيل إلى خلعه وهو إمام كما كان لا يحل خلعه. فإن امتنع من إنفاذ شيء من هذه الواجبات ولم يراجع وجب خلعه وإقامة غيره، ممن يقوم بالحق لقول الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) [سورة المائدة آية ٢]. أنظر: الفصل، ١٠٦/٣.
- (٤٦) أنظر: ديوان ابن حزم، تحقيق صبحي رشاد، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٦٣ للمقطوعة الأولى الأبيات من ١-١٣.
- (٤٧) أنظر: المحلى، ١٢٣/١-١٣٢، ١٣١، ١٢٩.
- (٤٨) أنظر: رسالة في الإمامة، رسائل، ٣/٢١٤، ٢١٣؛ الإحكام، ١/٢٣٠.
- (٤٩) ابن حزم، التقريب، رسائل، ٤/٩٨-١٠١؛ رسالة في الرد على الهاتف، رسائل، ١٢٢/٣.
- (٥٠) نقلا عن ابن سعيد، للمغرب، ١/٣٥٥.
- (٥١) نقلا عن الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨/١٩٩.
- (٥٢) أنظر: المحلى، ٧/٤٣-٦٢.
- (٥٣) النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص ٧٤، ٧٥.
- (٥٤) حسين مؤنس، شيوخ العصر، ص ٧٠-٧٢.

- (٥٥) ابن غالب ، قطعة من كتاب فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبدالبديع ، مجلة معه المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، ربيع أول ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ، مجلد ١ ج ٢ ص ٣١٠،٣١١ .
- (٥٦) نقلا عن الحميدى ، جنوة المقتبس ، ١/٣٧٥ .
- (٥٧) ابن حزم ، طوق الحمامة ، تحقيق الطاهر مكي ، دار الهلال ، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، ص ٢٥١ .
- (٥٨) ابن الأبار ، الحلة ، ١/٢٠٣ .
- (٥٩) ياقوت ، معجم الأديباء ، تحقيق أحمد فريد رفاعى ، دار المأمون ومكتبة القراء والثقافة الأدبية، ٢٣٧/١٢ ، نوزى ، المسلمون في الأندلس ، ٢/٢١٣-٢١٥ ، وانظر الطاهر مكي ، دراسات عن ابن حزم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٣م ، ص ١٠٩ .
- (٦٠) ياقوت ، معجم الأديباء ، ٢٣٧/١٢ ، محمد أبوزهرة ، ابن حزم حياته وعصره ، ص ٤٧ .
- (٦١) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٦٥ .
- (٦٢) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، ١٨/١٩٦ .
- (٦٣) ابن الأبار ، للحلة السيرة ، ٢/١٢٨ ؛ وانظر: عبدالباقي السيد ، ابن حزم ، ص ٧٦،٧٨ .
- (٦٤) ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص ١١١،١٢٨ .
- (٦٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣/٣٣٠ ؛ وانظر: ياقوت ، معجم الأديباء ، ١٢/٢٤٠ . خرج ابن حزم من وسط أسرة عرفت الإسلام منذ جده الأعلى يزيد بن أبى سفيان ، وكان خلف أول من دخل الأندلس من أسرته فى صحبة الأمير عبدالرحمن الداخل ، وكان مقامه فى ليلة ، وقد بدأت هذه الأسرة تحتل مكانها الرفيع كواحدة من كرائم العائلات بالانندلس فى عهد الحكم المستنصر ، ونجحت فى امتلاك قرية بأسرها هى منت ليشم . أنظر : عبدالباقي السيد ، ابن حزم ، ص ٤٦ .
- (٦٦) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣/٣٢٩ .
- (٦٧) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ٢/٣٤ ، ٧٠،٧١ .
- (٦٨) بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ٢١٥ .
- (٦٩) الضبى ، بغية الملتبس ، ص ٨١ .
- (٧٠) ابن بشكوال ، الصلة ، ٢/٣٤٠،٦٧٤ .
- (٧١) نفسه ، ٣/٨٦٦،٩٣٧ .
- (٧٢) هناك كتب كثيرة صدرت عن ابن تومرت من أفضلها ما كتبه الدكتور عبدالمجيد النجار كتب كتابين أحدهما عن فكره والآخر عن تجربته الإصلاحية ، وكتب عنه عبدالله علام عند حديثه عن عبدالمؤمن بن على ، وكتب عنه البيهقى تلميذ ابن تومرت وإن كان قد لشتط فى أمور ،

وكتب عنه ابن أبي زرع في روض القرطاس ، وكتب عنه الذهبي في سير اعلام النبلاء وفي تاريخه ، وغير ذلك كثير

(٧٣) من الأمور التي روجت ضد المهدي وكان من جملة من روجها واحد من أساتذتي المتخصصين في المغربيات إذ قال عنه أن قوام مذهبه العقيدة الشيعية وهذا باطل ، ومن طالع كتاب ابن تومرت أعز ما يطلب علم أن الرجل ليس له من التأثير الشيعي إلا قول العصمة ، وقوام نظرية الشيعة في الإمامة هدمها ابن تومرت لما اعترف بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن بن علي ، وقَالَ مدة الخلافة بعد النبي ثلاثين عاما فهذا ضرب لصميم العقيدة الشيعية ، وليت من يروج الأباطيل يطلع على كلام الرجل أولا .

(٧٤) أنظر : العبر ، ١١/٤٦٦ .

(٧٥) لمزيد من التفاصيل عن ذلك أنظر : عبد الباقي السيد عبد الهادي ، للظاهرة والمالكية واثرها في المغرب والأندلس في عهد للموحدين ، أطروحة نكتورة مخطوطة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ص ١٩١ وما بعدها .

(٧٦) توفي رحمه الله عن عمر يناهز السبعين تقريبا ... يوم السبت ٢٦ شوال ١٤٣٢هـ / ٢٤ سبتمبر ٢٠١١م طاوريا صفحة أمضاها في جهاد متصل في رحاب العلم لقد كان هذا الرجل رحمه الله آية من آيات الله في العلم وفي التحريض عليه والبحث عنه ... ولقد منحني الله من القرب منه والصلة به ما لم يمنحه لغيري إلا ما رحم ربي فلقد لازمته رحمه الله قرابة الاربعة عشر عاما درست على يديه في السنة التمهيدية للماجستير ... وأشرف على في الماجستير وصمم أن يكون الموضوع عن ابن حزم لأجل تصميمي ثم أشرف على في الدكتوراة وصمم أيضا أن يكون الموضوع عن الظاهرية والمالكية لأجل تصميمي ولقد كان محرضا لي للمضي قدما في طريق العلم بكل صنوفه وأشكاله ولقد جرى لي معه من المواقف ما يعجز القلم واللسان عن نكرها في موقف كموقفي هذا ... فأرجل كان والدا لي رحمه الله قبل ان يكون استاذًا وكنت إذا ما زرته في بيته وأردت أن أكتب شيئا أجلسني على مكتبه الذي كان يعتز به اعتراضا منقطع النظير لأنه كان لوالدته التي كان يحبها حبا شديدا الاستاذة الدكتورة معاذ مظاهر رحمه الله ... أشهر استاذة الآثار الإسلامية في مصر والعالم العربي وأول عميدة لكلية الآثار بالقاهرة لا أملك إلا أن أدعو له بالرحمة والمغفرة وأن ينور الله ضريحه ويفسح له في قبره وأن يرفع في العالمين نكره وأدعو كل أحبائي بالدعاء له

(٧٧) المقري ، نفع الطيب ، ٣/١٩٥ .

(٧٨) للناصري ، الاستقصا ، ٢/١٤٥ ، ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ١١٧ .

(٧٩) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ١٦٥ ، المراكشي ، المعجب ، ص ١٩٩ .

(٨٠) للمراكشي ، المعجب ، ص ٢٣٢،٢٣١ ، ابن سمالك العاملي ، الزهراء المنثورة فى نكت الأخبار الماثورة ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، ١٩٨١م-١٩٨٢م ، جلد ٢١ ، ص ٦١،٦٢ .

(٨١) للمراكشي ، المعجب ، ٢٣٣،٢٣٤ .

(٨٢) اعتمد ابن حزم فى فتواه على قول الرسول (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) أنظر : ابن حزم ، المحلى ، ١/٦٦ ، ٨/٤٢٣ ، الفصل ، ٣/٥٤ ، ولحديث رواه مسلم فى كتاب الإمارة من صحيحه .

(٨٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٧/١١،١٢ .

(٨٤) المنونى ، حضارة الموحدين ، ص ٢٥،٢٦،١٢٥،٢١ .

(٨٥) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٢٢٨ .

(٨٦) ابن حجر الهيتمي ، الفتاوى الحديثية ، نقلا عن المنونى ، حضارة الموحدين ، ص ٨٣ .

(٨٧) أبوراس العسكرى ، الخبير المغرب ، نقلا عن المنونى ، حضارة الموحدين ، ص ٨٣ ، هامش ٨ .

(٨٨) نقلا عن عليش ، فتح العلى المالك فى الفتوى على مذهب مالك ، دار الفكر ، (د.ت) ، ١/١٠٣،١٠٢ .

(٨٩) أنظر : المدونة الكبرى برواية سنحون بن سعيد ، دار صادر ، بيروت ، ١/٩١ .

(٩٠) الغليزورى ، المدرسة الظاهرية ، ص ٦٦٩ .

(٩١) أنظر : المعجب ، ص ٢٣١،٢٣٢ .

(٩٢) للمراكشي ، المعجب ، ص ٢٣٢ .

(٩٣) ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص ٢٢٧ ؛ وانظر : عزابوى ، رسائل موحديّة ، ١/٤٩٤،٤٩٥،٤٨٣،٤٢٤ .

(٩٤) للمراكشي ، المعجب ، ص ٢٧٨-٢٨٠ .

(٩٥) ابن الأبار ، للتكملة ، ٢/٨٨٥ ؛ وانظر : النباهى ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١١٧ ؛ أحمد بكير ، المدرسة الظاهرية ، ص ٦٤ .

(٩٦) الناصرى ، الاستقصا ، ٢/٢١٧ .

(٩٧) توفيق الغليزورى ، المدرسة الظاهرية ، ص ٣٠٨،٣٠٩ .

(٩٨) ابن الأحمر ، بيوثات فاس ، ص ١٩ ، وابن طاهر من أهل مدينة فاس كان متصوفا اتصل بالمنصور الموحدى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م فحظى عنده ، وكان عالما بأصول الدين وأصول الفقه ، ومسائل الخلاف ، ولى قضاء الجماعة للمنصور ، ثم ولى قضاء الجماعة للناصر بعد

- أبيه ولم يزل كذلك حتى وفاته سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م أنظر : ابن أبي زرع ، للخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٢م ، ص٤٨ .
- (٩٩) حسين مؤنس ، عقد بيعة بولاية العهد لأبى عبدالله المعروف بالخليفة الناصر الموحدى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٥٠م ، مجلد ١٢ ، ج٢ ص١٤٨ ، المنونى ، حضارة الموحدين ، ص٣٧ ، أحمد مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص١٠٩ ، ديلاسى أولبرى ، الفكر العربى ومكانته فى التاريخ ، ترجمة تمام حسان ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٧م ، ص١٧٤ ، ١٧٢ ، سعد زغلول عبدالحميد ، محمد بن تومرت وحركة التجديد فى المغرب والأندلس ، جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٣م ، ص٢١ ، محمود إسماعيل ، سوسولوجيا الفكر الإسلامى ، ج٣ طور الانتهاء ، القسم الأول ، ص١٧٥ ، عادل يحيى عبدالمنعم ، العلم والتعليم فى المغرب العربى من الفتح إلى نهاية دولة الموحدين ، رسالة ماجستير ، بنات عين شمس ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ص٧٥ .
- (١٠٠) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص٤ ؛ عبدالله العروى ، تاريخ المغرب ، ترجمة نوقان فرقوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ص١٧٦ ؛ الغلبزورى ، المدرسة الظاهرية ، ص٦٢٣ .
- (١٠١) محمد بن تومرت ، أعز ما يطلب ، ص١-٥ ، ١١-١٨ ، ١٦٣-١٦٥ ، ٢٥٨-٢٦٦ ؛ وانظر : الغلبزورى ، المدرسة الظاهرية ، ص٦٣٦-٦٦٠ .
- (١٠٢) ابن تومرت ، مصدر سابق ، ص٣١٣-٣٧٦ .
- (١٠٣) عبدالمجيد النجار ، المهدي بن تومرت ، ص٣٦٢ .
- (١٠٤) أنظر : شرح رقم الحل ، تحقيق عدنان درويش ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٠م ، ص٥٧ .
- (١٠٥) أنظر : المعيار المغرب ، ٣٦١/٢ .
- (١٠٦) اسماعيل بن الأحمر ، بيوتات قاس الكبرى ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٢م ، ص١٩ ؛ وانظر : المنونى ، حضارة الموحدين ، ص٣٧ ، ٣٨ .
- (١٠٧) العباس بن إبراهيم ، الإعلام بمن حل مراكز وأغامت من الأعلام ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٧٤م-١٩٧٧م ، ٣٩٦/٨ .
- (١٠٨) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ٢٥٥ ، الناصرى ، الاستقصا ، ١٢٥/٢ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، دار الفكر ، ٣٢٢/٤ .
- (١٠٩) للمراكشى ، المعجب ، ٢٣١ ؛ وانظر : النسيورى ، نهاية الأرب ، ٣٣٨/٢٤ ، ٣٣٩ ؛ لبس خلكان ، وفيات الأعيان ، ١١/٧ ، المقرئ ، نفع الطيب ، ١١٤/٣ .

- (١١٠) قال صاحب بيوتات فاس عن الناصر بن المنصور " كان كأيبه لا يحكم إلا بمحض الظاهرية ، وأن الفقهاء من المالكية أنكروا عليه ذلك وقالوا : الحق هو مذهب المدونة فأمر بجمع ما وجد من النسخ منها بالمغرب وإحراقها فأحرقت عن آخرها " أنظر : إسماعيل بن الأحمر ، بيوتات فاس الكبرى ، ص ١٩٤ ؛ الغليزوري ، للمدرسة الظاهرية ، ص ٤٥٨ .
- (١١١) المراكشي ، للمعجب ، ص ٣٠٨-٣١٠ ؛ وانظر : بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٣٨ .
- (١١٢) للنباهي ، تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١١٠ . وجزيرة شقر تقع بين بلنسية وشاطبة ، ومدينة جيان كوره تتصل لأحوازها بأحواز كوره للبيرة ومسافة ما بينها وبين قرطبة خمسون ميلا أنظر : ابن غالب ، فرحة الأندلس ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
- (١١٣) المقرئ ، نفع الطيب ، ٢/٣٦٣ ؛ وأنظر عبد الحليم عويس ، ابن حزم ، ص ٣٥٠ ، ٣٦٠ . وعن ابن العربي أنظر : أسين بلاسيوس ، ابن عربي حياته ومذهبه ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ص ٥-٩٩ .
- (١١٤) المقرئ ، مصدر سابق ، ٢/٣٦٣ ؛ وأنظر : بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢١٩ .
- (١١٥) أحمد بكير ، للمدرسة الظاهرية ، ص ٥٩ ؛ وانظر : أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، ١٩٦٢ م ، ٣/٩٥ ، ٩٦ ؛ خديجة الحديثي ، أبوحيان النحوي ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٦ م ، ص ٣١٩ .
- (١١٦) توفيق الغليزوري ، المدرسة الظاهرية ، ص ٣٠٣ .
- (١١٧) ابن الأبار ، التكملة ، ٢/٦١٦ ؛ للذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢٢/٣١١ .
- (١١٨) ابن العربي ، العواصم من القواصم ، تحقيق محب الدين الخطيب ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٤١٢ م ، ص ٢١ ؛ وانظر : المقرئ ، نفع للطيب ، ٢/٣١ ، ٢٥ .
- (١١٩) المقرئ ، نفع الطيب ، ٢/٥٨ ، ٥٧ ؛ وانظر : محمد الرشيد ملين ، عصر المنصور الموحدى ، ص ٢٥٤ .
- (١٢٠) الغليزوري ، المدرسة الظاهرية ، ص ٧١١ .
- (١٢١) ابن العربي ، العواصم من القواصم ، تحقيق عمار الطالبي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ٢/٣٣٦ ، ٣٣٧ .
- (١٢٢) نقلا عن الكنانى ، مؤلفات ابن حزم ، ص ٩٧ .
- (١٢٣) أنظر : للمعجب ، ص ٤٩ .
- (١٢٤) أحمد بكير ، للمدرسة الظاهرية ، ص ٦٤ .
- (١٢٥) الناصري ، الاستقصا ، ٢/١٩٨ ، ١٩٩ .
- (١٢٦) الونشريسي ، المعيار ، ٢/٣٤١ .
- (١٢٧) المراكشي ، للمعجب ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

- (١٢٨) إسماعيل بن الأحمر ، بيوتات فاس الكبرى ، ص ١٩ .
- (١٢٩) المراكشي ، النيل والتكملة ، السفر الأول ، للقسم الأول ، ص ٤٠٨ .
- (١٣٠) الغليزوري ، المدرسة للظاهرية ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٦٣ .
- (١٣١) أنظر : المعجب ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .
- (١٣٢) نقلا عن المقرئ ، نفع الطيب ، ١١١/٣ .
- (١٣٣) ابن الأحمر ، بيوتات فاس ، ص ١٩ .
- (١٣٤) العباس بن إبراهيم المراكشي ، الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام ، ٣٩٦/٨ .
- (١٣٥) أنظر : بيوتات فاس ، ص ٢٠ ، ٢١ . ويعقوب هو ابن عبدالحق المريني ولد سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م وتولى الحكم بعد وفاة أخيه أبي بكر سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ، وهو الذي قطع مملكة بني عبدالمؤمن ومحي آثارهم ، وهو أول من تسمى بأمير المسلمين من ملوك بني مرين أنظر : لين أبي زرع ، للخيرة السنوية ، ص ٨٥ .
- ومن عهد يعقوب المريني بدأ التقليد يعود ثانية ، وانطفأت جذوة التجديد والاجتهاد ، وجددت كل فروع المالكية ونسى العلماء الأصول ثانية حتى قال قائلهم وهو أحمد بن عمر المزكلي بفاس " ما نزل من السماء حكم إلا وهو في المدونة" أنظر : لين للقاضي المكناسي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، ١٩٧٣م ، ١٢٧/١ .
- (١٣٦) أنظر : للقوانين الفقهية ، دار للقلم ، بيروت ، ص ٢٧٦ .
- (١٣٧) أنظر : سير أعلام النبلاء ، ٣١١/٢٢ .
- (١٣٨) أنظر : الاعتصام ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، ٢٥٦/١ .
- (١٣٩) أنظر : الاعتصام ، ١٧١/١ .
- (١٤٠) أنظر : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ١١٨ .
- (١٤١) أنظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ٢٦٠/٢ .
- (١٤٢) أنظر : للمعيار المغربي ، ٣٦١/٢ .
- (١٤٣) أنظر : شذرات الذهب ، ٩٦/٥ .
- (١٤٤) أنظر : الرد على من يقبض في صلاة الفرض ، مخطوط ضمن مجموع الخزائن العامة بالرياض ، رقم (١٧٢٤د) ، ورقة ٦٠ ، ٦١ .
- (١٤٥) أنظر : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٢٣٨ .
- (١٤٦) أنظر : حضارة الموحدين ، ص ٣٧ .
- (١٤٧) أنظر : عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ، ص ٢٠٣ .

- (١٤٨) أنظر : الفكر السامى فى تاريخ الفقه الإسلامى ، دار التراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٦هـ ،
١٧٢/٢ .
- (١٤٩) للغليزورى ، المدرسة الظاهرية ، ص٦٨٥،٦٨٦ .
- (١٥٠) أنظر : قيام دولة الموحدين ، ماجستير ، آداب عين شمس ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ص٢١٤ .
- (١٥١) أنظر : ابن حزم حياته وعصره ، ص٥٧٧-٥٨٢ .
- (١٥٢) أنظر : ابن حزم خلال ألف عام ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ط١ ،
١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ٩،٨٢/٢ .
- (١٥٣) أنظر : ابن حزم الأندلسى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ص٢٠٥ .
- (١٥٤) أنظر : ابن حزم الظاهرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ،
ص١٦٢ .
- (١٥٥) أنظر : تاريخ للفلسفة الإسلامية فى المغرب والأندلس ، دار الجيل ، بيروت ،
ط١٤١٧،١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ص٢١٢ .
- (١٥٦) أنظر : ابن حزم الأندلسى عصره ومنهجه وفكره التربوى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ،
(د.ت) ، ص٩٨ .
- (١٥٧) توفيق الغليزورى ، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس ، ص٧،ذ.٧ .
- (١٥٨) أنظر : الردود على ابن حزم بالأندلس والمغرب من خلال مؤلفات ابن حزم ، مقال بمجلة
الأحمدية ، دى ، محرم ١٤٢٤هـ/مارس ٢٠٠٣م ، عدد ١٣ ، ص٣١٩ .
- (١٥٩) عبدالله علام ، الدولة الموحدية ، ص٣١٢ .
- (١٦٠) المراكشى ، المعجب ، ص ٢٧٨-٢٨٠ ؛ وانظر ، خوليان ريبيرا ، التربية الإسلامية ،
ترجمة الطاهر مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٤م ، ص ٣٠ ، ٣١ .
- (١٦١) محمد بن تومرت ، أعز ما يطلب ، نشر جولد زيهر ، الجزائر ، ١٩٠٣م ، ص ١٦٣ - ١٧٣ ؛
وانظر : Goldziher, le Livre le Mohammedi ibn Toumert Mahdies, Al ger, ١٩٠٣, p٥٠ .
- ٧٠ -
- (١٦٢) المراكشى ، مصدر سابق ، ص ٢٧٩ ؛ وانظر ، عبدالحليم عويس ، ابن حزم الأندلس
وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ، للزهراء للإعلام العربى ، القاهرة ، ط٢ ،
١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، ص ٢٥٠ - ٢٥٤ .
- (١٦٣) المراكشى ، السابق ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ؛ وانظر ، أحمد رمضان ، الخلافة فى الحضارة
الإسلامية ، دار البيان العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص
١١٥ ، ١١٦ .

(١٦٤) أحمد بكير، للمدرسة للظاهرة بالمشرق والمغرب ، دار فكتيبة ، بيروت — دمشق ، ط١ ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

(١٦٥) ابن حزم ، الفصل ، ٣/١٢ ، وانظر : أحمد رمضان ، الخلافة ، ص١١٥ ، ١١٦ .
(١٦٦) ابن للقطان ، نظم الجمان ، تحقيق محمود على مكى ، منشورات كلية الآداب والعلوم
الإيمانية جامعة محمد الخامس ، الرباط ، (د.ت) ، ص ٤ ؛ وانظر : الكنانى ، مؤلفات ابن حزم ،
ص٨٦ ؛ الغليزورى ، المدرسة الظاهرية ، دار ابن حزم ، الرياض ، ط١ ،
١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ص٦٢٢ .

(١٦٧) المراركشى ، الذيل والتكملة ، تحقيق محمد بن شريفه ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ،
١٩٨٤ ، القسم الأول ، السفر الأول ، ص٢١٨-٢٢٢ .

(١٦٨) المراركشى ، المعجب ، ص٢٣٢ ؛ وانظر : المقرئ ، نفع للطيب ، ٢٢٢/٤ .

• • •